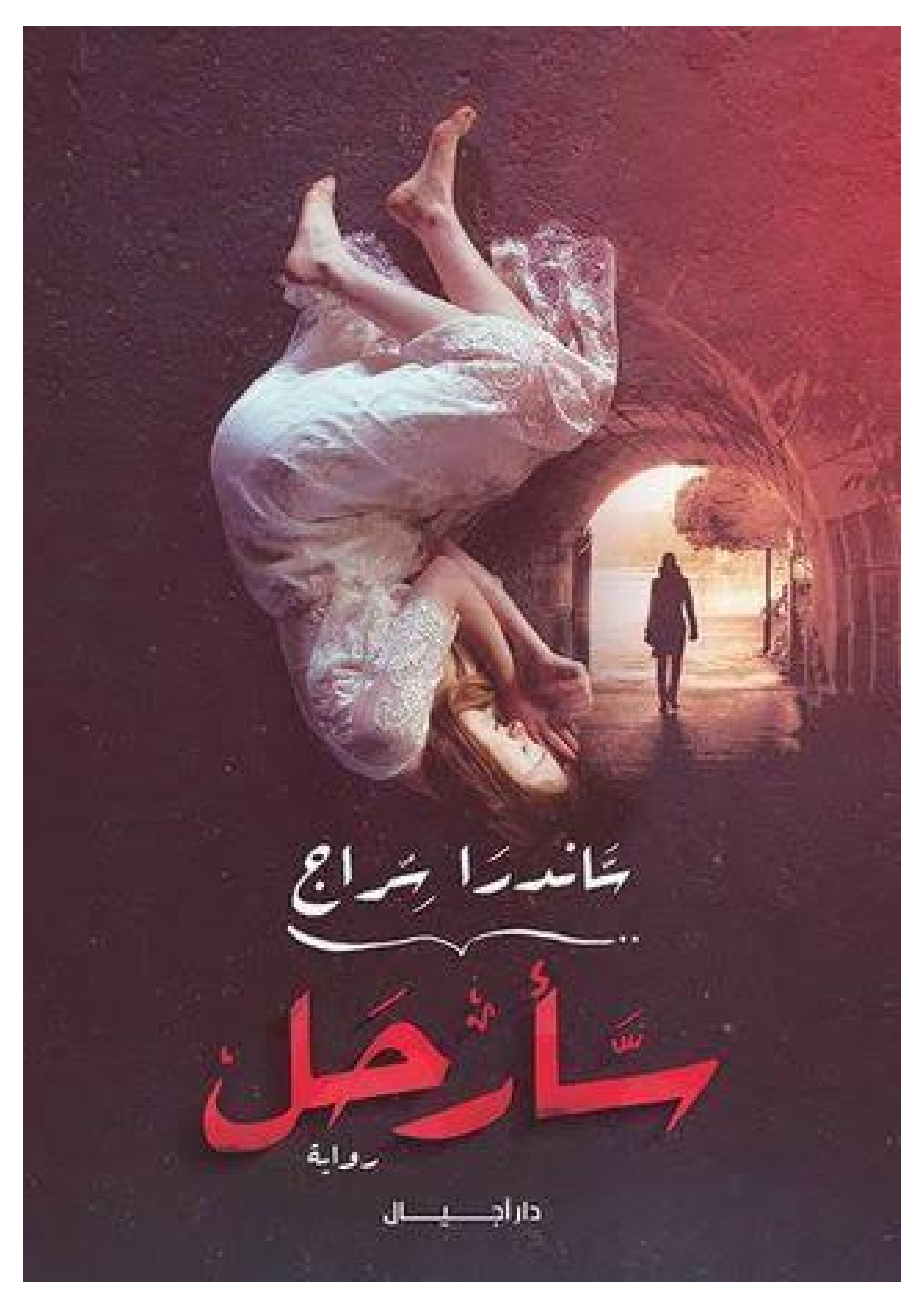

ساندرا سراج
سأرحل
رواية
دار اجيال



سأرحل

«أنا جنبك مهما حصل، في فشلك قبل نجاحك، في وجعك قبل فرحك.. مهما حصل أنا في ضهرك، إوعي أشوفك مكسورة.. أنا واثقة فيكي».

إلى الست اللي حوّلت كل لحظة فشل لنجاح، كل لحظة وجع لفرح، كل نقطة ضعف لجبروت، اللي كان عندها القدرة إنها تبقى السند في حين إنها عايزة تتسند، إنها تبقى الجبل في حين إنها مهدودة..

إلى أمي..

إلىٰ روحٍ طاهرة طائرة في براح علّمتني أن أنزف بدل الدموع حروفًا..

إلى ملاكي النائم في السماء، إلى روحي الضائعة..

إلى الصاحب الجدع.



«شعرتُ برغبة في البكاء عندما أخبرني أحدهم أنني
قوية وأنه معجب بذلك، لا يعلم أنني فضّلت السلام
بدلًا من المكافحة، وأن روحي تبكي من الوحدة».

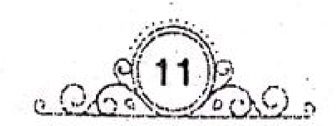
دوستويفسكي

1

قالت لي أمي يومًا أن المواقف الصغيرة التي نتجاهلها عادةً هي مقياس الشخصية.. كأنها كانت تشعر بقلب أم أن صغيرتها ستقع في عشق رجل يدمرها بتلك المواقف الصغيرة.

لطالما تجاهلتهُم، لطالما وجدتُ لك أعذارًا مُقنعة أكثر من التي تجدها أنت لنفسك، لطالما بكيتُ منك وعليك ولك..

كم من الغباء يا «سليم» أن تجد امرأة تُحبك مثلما أحبك وتوجعها بتلك الطريقة غير القابلة للمغفرة.. لقد أفقدتني قدرتي على المغفرة، أفقدتني قدرتي على البكاء منك على صدرك.. لطالما كنت أنا تلك الأنثى التي لم يقدر على المساس بها بشر،



لم يستطع أحد أن ينال من كبريائها، كبريائي الذي أهلكته أنت تنازلًا، أهلكت قلبي عشقًا ووجعًا، أهلكتَ روحي فراقًا.. أَهْلَكْتَني يا «سليم»، فسأرحل.

أتذكر يوم لقائي بك كأن الأقدار تحول بيني وبينك، أعتقد أنها كانت تشفق على قلبي البِكر مما سيواجهه مع قلبك.. قلبك الذي خدع الكثير من العذراوات بمحبته، خدع الكثير من العاهرات بقدرتهم على إمتاع جسده.

كان يومًا مُمطرًا في ديسمبر، كنت أجلس مع صديقاتي وكنت أنت مع فتاة صغيرة في الرابعة من عُمرها رُبما تبكي بحُرقة وتحاول تهدئتها، وجدتك حنونًا.. كيف يُمكن أن تكون نفس الشخص بهذا الجفاء والقسوة.. ذهبتُ إليها أنا أيضًا، كان يُمزق قلبي بُكاؤها وسألتها عما بها فقالت إنها لا تجد أمها.. حاولنا أن نفهم منها كثيرًا المزيد من التفاصيل ولكنها كانت بالانهيار الكافي لكي تبكي فقط فحملتَها بين ذراعيكَ وهمست قائلًا لها «إهدي حبيبتي، هنلاقي مامتك أنا و..» وظللتَ تنظر إليَّ في انتظار إجابتي عن سؤالك المُبهم، فجاوبتُ: «رهف، اسمي رهف».. نظرتَ إليَّ وابتسمتَ وابتسمتُ أنا أيضًا..

نامت الفتاة الصغيرة وجعًا وخوفًا بين ذراعيك، نامت بين ذراعَي عابرٍ غريبٍ؛ من خوفها.. ذهبتَ أنت إلى مكتب الاستعلامات وجلستُ أنا وهي بين ذراعيَّ نائمةً، خائفةً، تنتفض من وقت لآخر، عالقةٌ بها رائحتُك.



كم كنتُ غبيةً يا «سليم»، لم أفهم يومهاَ أنني رُبما يكون مصيري مثل مصير تلك الفتاة بين ذراعيك، كانت خائفة وموجوعة ورغم ذلك استطعتَ أن تجعلها تشعر بالأمان الكافي لتنام على صدرك وتعلق بها رائحتُك مثلما هي عالقة الآن في رئتي.. ما هي إلا دقائق حتى وجدنا الأم تجري وجعًا مذعورةً تبكي بحُرقة وتُردد «بنتي، بنتي.. أحمدك يا رب»، وأخذتْها من بين ذراعيَّ واحتضنتها وبكت الأم والبنت في مشهد مؤثر، وهدأت الفتاة وجلبتَ لها أنت الحلوى وقلت لها «اسمي سليم، ماتنسينيش»، (أتخاف أنت من أن تُنسي حتى من فتاة صغيرة لن تراها رُبما مُجددًا).

قالت لنا الأم «الله يرزقكم بالذرية الصالحة ولا يحرق قلبكم، خلّي بالك عليها»..! نظرت لي يومها ولم تحاول أن تنكر أن هُناك أي سابق معرفة بيننا قبل تلك الحادثة وسكتُّ أنا بالمُقابل.. هممتُ بالرحيل فأوقفتني قائلًا:

- هاشوفك تاني؟
- تشوفني!
- آه، أنا مارتّبتش قبل كده إني أشوفك ومش هارتّب تاني إني أشوفك.. أنا هاسيب القدر يجمعنا يا رهف..
- عادي.. مُمكن مايجمعناش دي صُدفة يعني.



- مافيش صُدف، كله بيحصل لسبب.. هاشوفك تاني، سلام.

رحلتَ يومها بثبات رجلٍ مُحيطٍ بالأقدار، كأنك وجدتني بالصُدفة أقرأ كتابك المُفضّل وتُخبرني ما في الفصل المُقبل.. هزمَتْني تلك النظرة بعينيك، هزمَتْني نبرةُ صوتك الحاسم، زلزلتْ أنوثتي رغبتُك في رؤيتي مرة أخرى.. كان أول لقاء بيننا بمثابة مقياس لمن سيربح في نهاية المطاف، من يربح أولًا يربح أخيرًا.. كأننا نُقامر القدر وربحتَ أنت لعلمك بمُفارقاته وخسرتُ أنا قلبي يومها.. لطالما خسرت أمامك، لطالما لم أستطع أن أفهم الضعف المُريب الذي يتملكني أمام عينيك، لم أفهم ورُبما لن أفهم أبدًا.

وحدث ما تنبأته أنت، وعندما وجدتني أمامك لم تتفاجأ ولم تهتزّ، اقتربتَ فقط بابتسامة رجل يُمسك بزمام اللعبة كأنه اللاعب والحكم والمدرب وكل الأدوار وأنا الجمهور الذي سيراقب ويتعلم.

كنتُ جالسةً أتأمل البحر وأستمع إلى موسيقاي المُفضلة، وجدتك تأخذ طرفًا من سماعات أذني وجلستَ بجانبي بصمتٍ.. لم تتحدث، لم تُرحّب بي.. فوجئتُ وانتفضت لأجد رجلًا غريبًا يجلس بجانبي ويأخذ مني سماعاتي مما أعتبره تطفلًا، ولكني لسبب أجهله لم أعترض ولسبب خفت أن أعلمه هو



أنني في أعماقي كنت حقًّا سعيدة.. نظرتَ إليَّ طويلًا وظللت تردد اسمي كثيرًا وأخبرتني دون أن يغمض لك جفن:

- رهف..
- ...
- وحشتيني.
- نعم؟
- عارف، عارف.. دي تاني مرة أشوفك وماعرفكيش ولا أعرف عنك حاجة، بس اللي أعرفه إن من ساعة ما شُفتك وأنا حاسس بحاجة عُمري ما حسيتها قبل كده، حاسس إني لأول مرة ألاقي نفسي، لقيت نفسي في ضحكتك وقلقك ولمستك وسكوتك.. لقيت نفسي في حروف اسمك.. عارفة لما تشوفي حد وتحسي إنك عارفاه من زمان، عارفة كل حاجة عنه، كان ناقص بس تقابليه.. إنك أصلًا مستنياه من زمن.. عارفة؟!
- أنا لازم أمشي.
- لأ.. لأ.

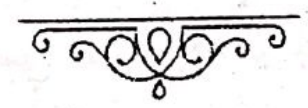
أمسك يديَّ ونظر إليَّ بعينين دامعتين وقربهما إلى قلبه فشعرت بقلبه يكاد يخرج من بين ضلوعه.



- حسِّي، بصِّي.. أنا قلبي عُمره ما دّق غير عشان أعيش، أول مرة يدّق لما حد يقرب منه أو بس يبصله، «رهف» افهمي.. انتي ماينفعش تمشي، ماينفعش.. أنا ما صدقت لقيتك.

لم أعلم ما كان يجب عليَّ فعله أو قوله.. نعم أعرف؛ فقد شعرت مثلك، شعرت بأنني أعرفك من زمن، أنّ هناك قوة خفية تجمع بينا وأنها ليست «مُجرد صُدفة» مثلما أخبرتُك.. ولكنني خائفة، أخاف من الحُب ومن التنازلات، أعلم أن الحب تضحية ولكني دائمًا أخاف من أن أتنازل عما لا أستطيع العيش من دونه، عن قلبي / كبريائي، أتنازل عني.

كم كنتُ خائفةً ولسخرية القدر كل ما كنتُ خائفةً منه حدث.. حدث أضعافه أيضًا يا «سليم».



2

إنها الرابعة فجرًا، لم تُحادِثني طوال اليوم، لم أحاول الاتصال بك أبدًا ولكن كان قلبي يترجاك أن تتصل وأن تكون بخير، لم أستطع النوم حتى.. كنا في بداية حربنا عزيزي، مَن سيضعف ويتصل أولًا.. كنتَ تختبر قدرة تحملي وهزمتك في أول جولة واتصلتَ أنت في الرابعة والنصف بصوت عاتب:

- طيب كوجهة نظر مبدئية.. عنيدة ومُكابرة وقوية، أقوى من اللازم.
- كوجهة نظر مبدئية.. بتحب الاختبارات والتحدي وأظن أن أول مرة تخسر رهان مع نفسك..
- ده حقيقي.

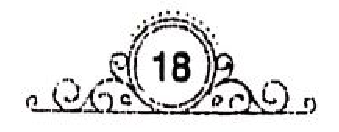


- هتتعود، هتتعود.

شعرتُ بالانتصار يومها يا «سليم» وشعرتُ في صوتك بنبرة الأب الذي يجعل ابنته تغلبه في لعب الشطرنج حتى يشجعها على تكملة اللعبة وتعلُّم أُسسها.. هل كنت أنا بالنسبة إليك طفلة في الخامسة تحاول تعليمها قواعد العشق المُحرَّمة؟! كم كنتُ ساذجة، وأظن أني أنا من يقود تلك العلاقة المُرهقة، ولكنك بكل ارتياح جعلتني أقودها بقيادتك.. أهزمك حينًا وتهزمني حينًا ويهزمنا الحُب كثيرًا.

مرت أيام كثيرة على نفس الوتيرة.. كنا أنا وأنت مُغتربَين في وطن لا يقل عن وطننا وجعًا وبؤسًا، أنا كاتبة وأنت تُدير فرع شركة والدك. كنت أجلس بجانبك في سيارتك، كنت مُغمض العينين وعلى وجهك آثار وجع مكتوم، لم أستطع أن أتنبأ بسببه، كنتُ أتأمل ملامحك الثلاثينية الناضجة، بلحيتك غير المتناسقة الفوضوية كأنها تعبِّر عما بداخلك. كان لون عينيك يميل إلى الأخضر.

كنتُ أتأملك كما لو كنت أتأمل لوحتي المُفضلة، وكانت خلفية صمتنا صوت عبد الوهاب يقول «لأ مش أنا اللي أشكي، ولا أنا اللي أبكي».. لم أحاول أن أجعلك تبوح بما في داخلك، فضّلت أن أصمت معك.. وقطعتَ صمتكَ قائلًا:



- بريئة، باخاف ساعات من براءتك دي، عارفة لما يكون في إيدك ألماس مثلًا وتبقي خايفة عليه من كل الناس حتى من نفسك فتشيليه في علبة غالية جدًّا على رف الدولاب وماتلبسيهوش، من كتر ما أنا خايف عليكي يا «رهف» أحميكي حتى منّي وماعرفش أعيش معاكي، خايف أخليكي تدبلي جنبي من خوفي.

ويقاطعك صوت عبد الوهاب مجددًا يقول «ماقْدِرْش يفهمني، ماعْرِفش يعرفني.. وعشان إيه ماعْرَفْش.. دا ذنبك مش ذنبي»!

كانت علاقتنا وقتذاك علاقة غريبة من نوعها، فلم نعترف حقًّا أننا عشاق ولم ننكر أيضًا.

كنا، كما تقول «زينة» صديقتي، مثل «توم وجيري»! كنا أصدقاء كما ندّعي ولكننا فقط كنا عشاقًا مع إيقاف التنفيذ، «زينة» هي صديقتي في العمل التي تكرهها أنت، كانت دائمًا تحاول أن تنقذني منك ولكن والله ما استطعتُ أنا أن أنقذ حالي من السقوط في عينيك..........

كنا على مشارف العام الجديد، أخبرْتَني أنك تُريد أن تحتفل به معي، فَرِحتُ كثيرًا ولكني ادَّعيتُ اللا مبالاة، بالطبع علمت أنت، فأنا بالنسبة إليك فتاة قليلة الخبرة في الخامسة والعشرين مهووسة بصوت فيروز صباحًا وبقراءة



الروايات الرومانسية ولم يسكن قبلك أحد عالمها، فتاة غجرية الشعر والطباع.. متمردة، لطالما قلت إن ما جذبك فيَّ هو تمردي وعنادي. أعتقد أنك مللت الروتين وأردت أن تكسره وتكسرني معه، أردت أحدًا أن يتحداك أو أن تجعله يتحداك وقتما شئت. كانت مفاتيحي معك، كانت كل قواعد اللعبة بين يديك وكنت أنا أنفّذها بدقة.

أخبرتك يومها أني لدي رحلة عمل إلى باريس، لم أجد منك أي تعليق فلم أعلق أنا أيضًا.

كنت أريد أن تحاول أن تقنعني أن لا أسافر ولكنك لم تفعل ففضّلت الصمت.

لطالما فضّلت الصمت على جدالك، بالفعل سافرت إلى باريس وعند نزولي لمطار باريس وجدت أحدهم يحمل لافتة عليها اسمي.

ذهبت إليه فطلب مني أن ألحقه، كنت خائفة، ولكني لحقته؛ فأنا في مدينة الحُب ليلة رأس السنة وأحدهم يحمل لافتة عليها اسمي، لن يكون من مافيا سرقة الأعضاء أعتقد.

لم أشعر بالوقت وأنا أفكر مليًا ما الذي يحدث ولم أسأله، قال لي إن دوره انتهى ويجب عليَّ أن أركب ذلك التاكسي وسيوصلني إلى المكان المنشود.. سألته:



«سأُخطف؟».. ضحك وقال بلكنة فرنسية مُمتعة: «ليس فقط الجسد الذي يُخطف سيدتي».

دندنت بالموافقة وركبت، كانت أغنية Je t'aime تُعاد ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أغني معها مليًّا:

Je t’aime، je t’aime

Comme un loup، comme un roi

Comme un homme que je ne suis pas

Tu vois، je t’aime comme ça

حقًّا أحبك مثل الحمقاء وطار الوقت مع لارا ونحن نغني معًا ووصلت إلى فندق يبدو أنه فخم، فخم للغاية.

ما لبثت أن أسأل السائق حتى وجدت أحدهم يفتح لي الباب فنزلت وقال لي بلكنته الفرنسية: «سيدتي غرفتك 504، أرجوكِ اتبعيني».

شعرت أني قد جُننت أن أكون هنا الآن.. مَن هؤلاء؟ كيف..؟ هل جُننْتِ يا رهف!

حسنًا لنكمل رحلة الجنون معًا عزيزتي لنعرف مَن ذلك العاشق السرِّي.



كنت أتمنى بداخلي أن يكون أنت يا «سليم»، حتى دخلت الغرفة ووجدت فستانًا أسود رائع الجمال وبجانبه ورقة «استعدِّي.. أنتظرك».

أعانيتُ من كل ذلك التفكير فقط من أجل كلمتين؟ حسنًا.. سأعرف مَن هو حتمًا.

كانت الغرفة رائعة وبها رائحة عطر الجو الذي أحبه، كان كل شيء مثاليًّا يليق بباريس وببداية عام جديد.

وجدتُ أحمر شفاه فقط، وورقة بجانبه مكتوب عليها «لا تحتاجين إلى مساحيق التجميل، أنتِ رائعة الجمال.. فقط ذلك أحمر الشفاه سيبدو شهيًّا عليكِ».

كنت أنفذ ما تقوله اللافتات كأني مغيبة، وفعلًا قد كان، الآن أنتظر أي علامة ترشدني إلى الخطوة التالية.

ذهبت إلى النافذة في الطلة رائعة الجمال، ووجدت ورقة مكتوبًا عليها «مللتِ عزيزتي؟» فضحكت بصوت عالٍ وبجانبها ورقة أخرى مكتوب عليها «هيًّا، افتحي الباب»، تحركت بتوتر إلى الباب، كنت متوترة للغاية.. كل خطوة أخطوها كان يرتعش قلبي خوفًا وشجنًا، حتى وصلت إلى الباب وبقيتُ أمامه صامتة أحاول أن أقنع يديَّ أن تفتحه ولكن لا أعرف ما حدث حقًّا، حتى تحركتُ وفتحته فوجدتُك أمامي.. وجدتك!



قال لي الرجل الذي قابلته في المطار «ليس فقط الجسد الذي يُخطف سيدتي».

كان معه حق فقد سرقت قلبي يومها برقّتك.. كنت تلبس بدلة سوداء «سليم»، كنت في غاية الوسامة، مسكت يديَّ وقبّلت كفّي وأنت تنظر إلى عينيَّ ثم أغلقت عينيك وقرّبت يديَّ إلى قلبك وأخبرتني بلكنة فرنسية «سيدتي، قلبي يؤلمه حلاكِ».

ضحكت ولم أجدني إلا بين ذراعيك. كانت رائحتك تملأ رئتي، كادت ضَمّتُك - أُقسم - أن تكسر ضلوعي ولكني لم أهتم.

لا أعلم كم بقينا هكذا، كنت أشعر أنني بعد غياب عشرين عامًا، أنا في منزلي.

قبّلتَ رأسي وأخبرتني بصوت أقرب إلى الهمس بلكنتك الفرنسية: «لم أعلم قبل ذلك بوجود ضلوع في جسدي، اكتشفتها اليوم معكِ.. مُستعدة؟».

لم أعلم حقًا ماذا قصدتَ بـ«مستعدة» ولكني كنت مستعدة لكلِّ شيء ما دام معك.

رددت بأني مستعدة وأمسكت يدي كأنك شعرت أني فاقدة لتوازني مذ كنت بين ذراعيك.

كنت مذهولة كأني قد شربت للتوّ أول كأس نبيذ أحمر فاخر، كنتُ ثملةً، ثاملتُك.



جلسنا في مطعم الفندق، كانَ عظيماً، وكان جميع من حولنا يتأملوننا.. كانت ملامحك غربية ولكن أنا كانت ملامحي شرقية بشعري الغجري وفقط بأحمر الشفاه.. قد أحسستُ بقلبي يتمزق من تلك الفرنسية الشقراء هي وصديقتها اللتين كانتا تتأملان كل تفصيلة فيك، لاحظتَ أنت فقبّلت يدي أمامهما وغيّرت وجهة مقعدك حتى يكون ظهرك لهما.. زلزلتْني تلك التصرفات الصغيرة، أفقدتْني كل توازني وجعلتْني أسلِّم لك قلبي بأريحية عظيمة.. تحدثنا كثيرًا وضحكنا وحين اقتربتْ الساعة من الصفر طلبتْ مني أن نذهب إلى برج إيفل لنشهد الاحتفالات وفعلًا كان هناك العديد من العشاق الذين كانوا متحمسين جدًّا لبداية عام جديد معًا، اقتربت من أذنيَّ لتقول لي «تمنِّي شيئًا» ولكني لم أسمعك من الضوضاء وأصوات الاحتفال.. فاقتربت أكثر وطلبتَ مني أن أتمنى، وسألتني ماذا تمنيت، ولكني لم أخبرك لكي تتحقق.

كنتُ حريصة على أن لا أخبرك، ولكن كان عندي فضول أن أسألك.. أخبرْتَني: «تمنَّيْتُكِ»! خفتُ أن لا تتحقق الأمنية بمعرفتي إيّاها. تشاجرتُ معك لمّا أخبرْتَني فقلتَ إنني مجنونة وضحكتَ.

كانت أمسية لا تُنسى، كانت بداية سنة جديدة معك، كانت رائعة.. أوصلْتَني إلى غرفتي وكنت مرهقة جدًّا من السفر والاحتفال وكنت أريد أن أنام.



- «سليم».. اليوم كان حلو جدًّا، شكرًا.

- حلو بيكي.

- تعبانة جدًّا، محتاجة أنام وارتاح..

- طيب يلا.

- يلّا إيه، انت رايح فين؟!

- هنام.

- لأ.. هنام، لوحدي.

- ما هو أكيد أنا مش هنا عشان سواد عيونك، بس حضرتك الفندق ده بيحجزوه من السنة للسنة ومعجزة إني ألاقي غرفة فاضية، فانتي مُجبرة تشاركيني فيها لوقت رحلتك.

- لأ، مش هينفع.

لم ألبث أن أكمل كلماتي حتى وجدتكَ دخلتَ وخلعتَ بدلتك.. أخبرتُك أنني سأرحل إلى فندق آخر ولكنك أخبرتني أن الوقت تأخر وأنها ليلة رأس السنة ولن أجد مَن يوصلني وسأصل للخمسين وأموت قبل أن أصل من الازدحام..! كنت أعلم ذلك وعلمتُ أني مُجبرة أن أقضي معك الليلة في نفس الغرفة.



- طيب خد مخدة أهي ولحاف، قوم نام على الكنبة.

- نعم؟ إشمعنى أنا أنام على الكنبة.. مش انتي من مناصرين حقوق المرأة والمساواة..؟ يبقى زيّك زيّي.. عايزة تنامي نامي انتي على الكنبة.

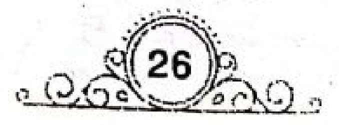
- سليم.. ماتستهبلش، قوم.

- هو إيه اللي «سليم» ماتستهبلش قوم..! كلام نهائي، أنا هانام على السرير، السرير كبير، متضايقة؟ تعالي نامي جنبي، ماتخافيش مش هاكلك يعني.

كنتُ أشعر بالحقد عليكَ.. أخبرتكَ بعلو صوتي «أكرهك» فسمعت ضحكاتك المستفزة فنمتُ أنا على الكنبة.. ووجدتك توقظني بعدها بدقائق وتنعتني بالكسولة، صرخت فيك أن تتركني أنام. أخبرتني أنها الثانية ظهرًا وأني كسولة.

استيقظتُ لأجدني على السرير، قمت مفزوعة: هل نمت بجانبك..؟ أخبرتني: «لا، كنتِ بين أحضاني عاريةً طوال الليل، كم أنتِ مشاكسة»! صرختُ فيك.. حاولتَ تهدئتي وأخبرتني أنك أشفقت عليَّ فحملتني إلى السرير ونمتَ أنتَ على الكنبة ولكنك فقط تحب مضايقتي!

مرت أعوام يا «سليم» على تلك الذكريات، وها أنا ذا أقضي رأس السنة لحالي.. ها أنا ذا أكتب لك عتابًا ووجعًا واشتياقًا.



3

00:00

دقّت ساعة الصفر يا عزيزي..

وعِندما تدُق ساعة الصِّفر وتُعلَن رسميًّا بداية العام الجديد، ستكون أنت في خبر «كان»، ستكون ذكرى لأعوام مضت وجرح لن يلتئم يا عزيزي.

ستُقتل بداية العام الجديد، أما حاليًّا فأنت في مرحلة احتضارك.

لطالما أخبرتني أنك تشعر أن مُنتصف الليل هو وقت «كل اللا شيء»، إنه الوقت الذي ليس له رقم، إنه الصفر.. إنه وقت الكمال.

لطالما آمنت أنت ـ على نقيض كل الخلق ـ بأن الصفر هو أكبر الأرقام، هو



أعظمها وأتمّها، لطالما أخبرتني أنني «صفرُك»، كنتُ أنا صفرُك حقًّا، كنتُ اللا شيء المُكتمل لديك.

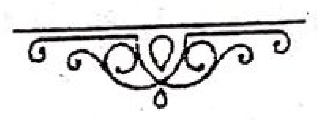
أتذكر يوم لقائي معك في مطار بيروت، كنتَ تنتظرني وبيدك بضع ورود سوداء.

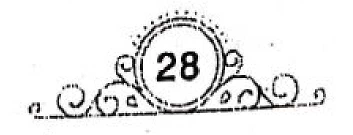
لطالما آمنت بأنها خُلقت لي؛ لعشقي للأسود ولأنها نادرة مثلي.. كنتُ مسحورة بجمال بيروت وجمال الورود وعينيك.

لطالما نظرت إلى عينيك ولم أعرف ما لونها الفعلي، كل تفاصيلك الصغيرة كانت عظيمة الغموض يا عزيزي.

لم أفهم يومًا سبب صلاتك لفرض الفجر يوميًّا في المسجد بعد رحيل سائر المُصلين وتذهب بعدها لشُرب النبيذ منزوع الكحول.

لم أعلم أبدًا سبب انتهائنا، سبب رحيلك ورحيلي.. ولن أعلم ربما!





3

جالسة في غرفتي وأمامي فنجان القهوة التي أكرهها ولكني لا أعرف حقًا سبب إدماني لها، دائمًا ما كنت تشبِّه حالك بالقهوة، دائمًا ما كنت تقول إني أكرهك ولكني أدمنتك لسبب لا يعلمه سوى الخالق، ولكنني أعلم لمَ أدمنتُك، أنا عشقتك.. عشقتك ووالله لا أخفي عشقي.

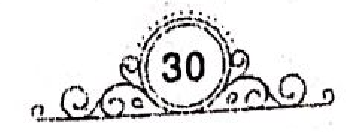
وجدتك تصرخ باسمي، كنتَ سكرانًا وتهذي.. كنتُ خائفةً منك وعليك ولكن لم أستطع أن أفعل شيئًا سوى أن أجعلك تشرب فنجانًا من القهوة عساك تفيق يا «سليم»، عساكَ.. ولكنك بقيت تهذي وتبكي، ظللت تقول بصوت عالٍ إنك تحبني، وأنني لا أفهم أنك خائف.. كنت تنتفض يا «سليم»



وتبكي زعرًا كطفل على وشك فقدان أمه، لم أستطع أن أفعل شيء أمام ضعفك وهذيانك سوى أني ضممتك إلى صدري كأم تضم طفلها الباكي وبكينا معًا.. بقيت أغني لك حتى الصباح، كنت أغني «فعذّبها حتى أذاب فؤادها» وأنا أبكي وجعًا.. وجعًا منك وعليك ولك، كنتَ نائمًا كطفل في الخامسة من عمره بعد يوم مرهق، بقيتَ نائمًا بين ذراعيَّ وتهذي باسمي من حين إلى آخر.. كنتُ أعرف أنك تعشقني رغم هفواتك وغلطاتك إلا أنك تحبّني ولكن ما فائدة أن تحبني وأنت تقتلني يا «سليم»..؟! وجدتك تستيقظ من بين ذراعيّ تنظر إليَّ ووجدت في عينيك بكاء.. اقتربت منك وقبّلت عينيك، وعدتني أنك لن توجعني مجددًا، صدَّقتك ليس لأنك صادق ولكن لأني أريد أن أصدقك. لطالما قرأتُ «همّ يبكّي وهمّ يضحّك». أتعرف ما المُضحك؟ إنني حقًّا أقنعت قلبي بأنك لن توجعه مرة أخرى.. أترى كم كنت ساذجة!

لطالما تساءلت: أيجعلك شعور أنك توجعني أفضل؟ كنت أعيش مثل الطفلة قبل دخولك مجرّتي، كنت أفضّل قبل أن تدخل قلبي وتفضّ عذريته وتجبلني بالوجع.

أتذكر يوم سألتك: ما مفهوم الحُب؟ سكتَّ مليًا وأخبرتني: «الوجع.. الحُب أن تتحمل الوجع، الحُب يتكون من الوجع، حتى مُمارسة الحُب معتمدة على



متعة الألم، الحُب هو الوجع المُمتع الذي يجعلكِ ترين كل شيء بطريقة سوداوية وردية رائعة الجمال وبشعة الفُراق».

كانت بداية الربيع وكنت قد قررت أنا أن أحيا مثل الزهور، أن أتخلص منك كما تخلصت السماء من المطر، كما تخلصت من الرعد والبرق الذي لطالما أخافني، كنت أنت تشبه البرق في نورك الساطع الذي كلما قال عمرو حسن «يا نور ساطع بيعمي العين مابينوّرش» وتشبه الرعد في صوته المُخيف الذي يبثّ في القلب الوحدة والخوف.

رجعتُ إلى وطني، إلى مصر.. رجعت إلى الإسكندرية.. هل لعنة مصر تُصيب أبناءها حتى المُغتربين منهم؟ هل تحرم علينا الراحة والهناء ما دمنا نحمل جنسيتها تحت كل سماء وعلى كل أرض؟

رجعت إلى أحضان أمي، بكيت كثيرًا يا «سليم».

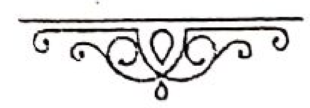
كانت تشعر بي أئن بين ذراعيها، وجدت هاتفي يرن، وجدتك المُتصل، وقفت لا أعلم هل أطاوع قلبي أم المنطق والعقل، ولكني تجاهلت المنطق والعقل والكرامة والكبرياء وزحفت نازفةً وراء قلبي لسماع صوتك، وجدتك تبكي.. كنت أعلم أنك تُحبني ولكن ذلك الحُب القاتل المؤذي الذي يجعلك تكره الحب والمعشوق وقلبك وتعيش بشعار «تحيا الكرامة» ثم تخضع لقلبك بعد



ثوانٍ معدودة.. وجدتك تحاول أن تهدأ وتحدثت بصوت ضعيف تقول:

- منفى، أول مرة أحس إني متغرب، أنا مش قادر أتنفس من غيرك، عارف إني بأذيكي وباوجعك، بس باحبك.. ساعديني، ساعديني أكون شخص مناسب ليكي.. مش عايز غيرك.

ضحكتُ وأنا أبكي يا «سليم».. كيف لك أن تكون أنانيًا لتلك الدرجة، أن تعلم أن وجودك يقتلني وتُريدني لكي تعيش أنت.. كيف؟ قررت حينها أن أكون مثلك.. مثلك تمامًا، أن أفكر في نفسي فقط. لن أموت لكي تعيش أنت. لِتَمُتْ مثلي يا «سليم».. أنا سأرحل.





4

كانت تلك أول سطور الكاتبة «ملك الشاذلي».. كانت امرأة في الخامسة والعشرين من عُمرها، كانت رائعة الجمال، ذلك الجمال الشرقي، بشعرها الأسود الغجري المنسدل على كتفيها، وعينيها الواسعتين. كانت «ملك» اجتماعية وودودة ولكنها حازمة ولا يستطيع أحد التكيف مع مزاجيتها المُفرطة.

كانت تكتب أولى صفحات روايتها، كانت تشعر أنها «رهف» بذلك الكبرياء الضعيف والقلب المُحطم والعقل الواعي.

كانت حالمة ولكنها تخاف أن تقع في الحُب فكانت دائمًا تكتب عنه كأنها تعيشه



بين سطورها الصغيرة ودائمًا ما كانت تجعل النهايات مأساوية فلطالما قالت «كلما زادت مأساوية العلاقة علقت بأذهان وقلوب الخلق»، ولكن اعتقادي أنها كانت تجعلها مأساوية لتهرب، لتثبت أن ما من حُب مثالي، ما من علاقة تكتمل.

كانت أجبن من أن تطلق قلبها حرًّا طليقًا ليأسره العشق، حتى رأت ذلك المدعو «يوسف الشرقاوي»، كانت تراه متعجرفًا، أنانيًّا، كانت تمقته وتمقت التفاف الفتيات حوله لسببٍ تجهله.

كان صديق صديقتها العائد من الخارج الذي سمعت عنه كثيرًا ولكن لم تَرَه أبدًا.

كانت صديقتها «ريم» تحبه كثيرًا فكان صديق طفولتها، لطالما حدَّثتْها عنه وعن وسامته.. كان أول تعامل بينهما نزاع، كان يريد أن يجلس بجانب «ريم» وكانت جالسة فمسك ذراعيها ليجعلها تبتعد، أحرجته أمام كل الجالسين ذلك الرجل الذي تتمنى أنثى أن يلمسها، ذلك الرجل الذي تقع في عينيه ولباقته العديد والعديد من النساء.. وقف مذهولًا من جراءتها وحزمها وغضبها لم يجد سوى أن يعتذر إليها ثم يرحل في هدوء.

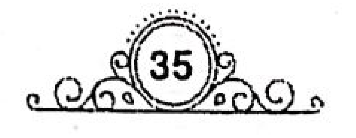
وجدَتْه يرحل في حزن واضح فشعرت بغصة في قلبها من قسوتها في رد فعلها،

ولكنه تجاوز حدوده، أخذت رقمه من «ريم» لتعتذر إليه ولكن عندما همَّت بالاتصال تيقنت أنها لم تخطئ وهو من عليه الاعتذار ولكنها لم تستطع أن تتوقف عن التفكير به، كان لأول مرة يَعْلَق أحد في ذهنها لأكثر من خمس دقائق.. كانت تريد أن تسمع صوته بأي ثمن، هاتفته ولم تتحدث ظل يردد: «ألو»، و لكن ما من مجيب.

نامت بصعوبة وذهبت في الصباح التالي لتمارس رياضة الجري فهي شخصية عنيدة وعصبية وتشعر أنها كلما جرت أصبحت أهدأ، وجدته يجري بجانبها.. وقفت تحاول منع ابتسامتها، وقال:

- أولًا صباح الخير، تاني حاجة أنا آسف على إمبارح جدًّا ماكنتش أقصد أضايقك، تالت حاجة هو لسَّه في حد بيتصل بحد ومايردّش.. أصل في أبلكيشنز لذيذة دلوقتي بتطلعلك اسم الشخص اللي بيتصل وفيسبوك بتاعه ومُعظم معلوماته.. آه بالمناسبة ابقي اقبليني على فيسبوك.. يومك سعيد!

وضحك وهو راحل، شعرت بالغيظ والكره الشديد ناحيته فبقيت تجري أكثر من أربع ساعات عساها تهدأ.. وعندما ذهبت إلى «ريم»، فوجدته معها فكانت سترحل لكنه أوقفها وطلب منها أن يبدآ صفحة جديدة، فوافقت،



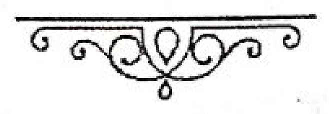
رغبةً منها في الانتقام منه، ورحلت لتكمل روايتها وتفرغ بها ما بداخلها من غضب مكتوم.

كنت أستمع إلى مغنيتي المُفضلة تايلور سويفت، كنت قد سافرت إلى ميامي، كان يومًا يشبه الموت، كان صوتها يبكي وهي تغني:

«This is the last time am asking you why you break my heart with a blink of an eye»

ولكني لم أسألك حقًّا يا «سليم»، لم أجرؤ أبدًا على أن أسألك ما الذي جعلك توجعني ربما لأني لن أقبل أن يكون هناك مبرر لوجعي، ربما لأني لا أريد أن أكرهك لكونك تجد سببًا مُقنعًا يجعلك تنام ليلًا موقنًا أنك لم تخطئ بحق امرأة عشقتك حدَّ الموت وها أنا ذا قيد الاحتضار.

منذ يوم رأيتك وأنت تشغل عقلي، لم يأخذ أحد من قلبي ما أخذت أنت، كنتُ أتلهف لرؤية عينيك، لأملأ رئتاي برائحة عطرك. كنتُ كالمسحورة بك ولم يفك أحدهم إلى الآن طلاسم عشقي لك.





5

تركتْ «ملك» الرواية لأنها شعرت بتناقض بين مشاعرها وما تكتبه وبين تفاصيل الرواية، لماذا هي لا تستطيع أن تكفّ عن التفكير به؟! إنه يفسد حياتها وروايتها ومزاجها.

قالت «سحقًا لك يوسف»، كانت الساعة تقارب الثانية فجرًا، شعرت بغصة في قلبها وأنها ستبكي وحدتها فقررت أن تأخذ سيارتها وتشارك البحر ما يخطر بقلبها.

جلستْ عند البحر فوق سيارتها وطبعًا فتاة وحدها في الثانية فجرًا لن يدعها أحد دون تعليق سخيف، حتى وجدت أحد الشباب يحاول لمسها وسمعت



صوت فرملة سيارة يؤلم الأذنين وجدتْ شابًا يقارب الثلاثين يبرحه ضربًا ثم يسألها «هل أنتِ بخير؟» كانت تتوقع أن تجده «يوسف» كما يحدث في الأفلام، ويكون هو من بعثه ليعبث معها، ثم يأتي وينقذها فيكون هو البطل في عينها..

ولكن مهلًا هذا ليس «يوسف»، هذا شاب آخر ويبدو الخوف في عينيه.

طال صمتها ثم همهمت: «بخير، شكرًا». سألها عما تفعل فتاة مثلها في مثل هذا الوقت على البحر وحدها دون حبيب أو أهل، قالت إنها ليس لها حبيب وإنها مغتربة، قالتها بأسى جعله يجلس بجانبها، وسألته: «وشاب زيّك بيعمل إيه على البحر دلوقتي من غير حبيبته؟»، فردّ عليها ضاحكًا: «هو لو عندي حبيبة فأكيد مش هتفضل معايا لاتنين الفجر، وأهلي ماتوا في حادثة من خمس سنين».

تأسفتْ وشكرته وكانت على وشك الرحيل حتى همس إليها: «هاشوفك تاني؟».

استغربت سؤاله، ولكنها في قرارة نفسها كانت تتوقعه فقالت: «لو لينا نصيب هتشوفني، سبحان من جمّعنا من غير ميعاد عشان تنقذني»، ورحلت ولكنها رأته بسيارته خلفها، كانت تشاهد مسلسلات عن القتلة المُتسلسلين كثيرًا فأخرجت يدها من السيارة تشير إليه أنْ يقف، سألته بنبرة خائفة: «انت قاتل

وجاي تقتلني يعني وتشرب من دمي والجو دا؟».. ضحك وقال «ماكنتش لحقتك، أنا بس حسيت إني عايز أطمن عليكي».

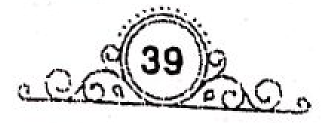
قالت بنبرة ساخرة: «واحد يلحقني من واحد كان عايز يتحرش بيا وبعدين يمشي ورايا عشان يعرف مكان بيتي بحجة إنه عايز يطمن.. آه، لا أنا مطمنة فعلًا!».

صمت ولكن كان على وجهه حُزن من نبرتها.: سكتت واعتذرت وقالت: «معلش، بس ماتعودتش حد يخاف عليّا خاصة بقى لو ماعرفهوش.. امشي من فضلك».

اعتذر بأدب وكان عن وشك الرحيل ولكنها استوقفته: «شكرًا يا...»، قال «أدهم، أو مُمكن تقولي «أدهم» سفاح يعني!».. ضحكت ورحلت.

ذهبت إلى بيتها لتجد كلبتها تجري عليها وتعاتبها بوجه عابس على تركها وحيدة في مثل هذا الوقت، ضحكت «ملك» وأجلستها على رجلها وهمست إليها: «ماليش غيرك والله، من غيرك كنت اتجننت».

حكت لكلبتها عن «أدهم»، أخبرتها أنه يبدو في الثلاثين، طويل، شديد الوسامة، تميل عيناه إلى اللون الأزرق الذي تعشقه، كانت نبرته غريبة لم تعهدها أبدًا، كان صوته رجوليًّا وساعته غالية.. ظلت تحكي لها حتى نامت على الكنبة.



استيقظت صباحًا على صوت الباب وصوت كلبتها يعلو، فتحت الباب لتجد «يوسف» حاملًا بيده بعض الفطائر وقهوتان من «ستاربكس».. استوقفته «انت داخل فين؟!».. أخبرها أن «ريم» في طريقها إلى هنا.. لن يكونا وحدهما «ولّا انتي خايفة تكوني معايا لوحدك؟!».

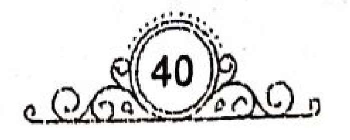
أجابت «لأ هاخاف ليه، اتفضل».

أحضر لها الفطير بالسكر الذي تعشقه فاستغربت أنه يعلم، قال بصوت حنون «سألت «ريم» وهي قالتلي بتحبيه»، شكرته وأكلته مثل طفلة تأكل حلوى في الخامسة.

شعر «يوسف» بأنه اكتشف مكانًا في قلبه لأول مرة يطأه بشر.. إنه يشعر! هل حقًّا قلبه ينبض لمجرد رؤية أحدهم.. ابتسم ونظرت إليه فوجدته ينظر إليها بعشق لم تفهم محتواه، اعتذرت وقالت «معلش، بانسى نفسي مع الفطير بالسكر.. باحبه جدًّا».

ضحك وحاول إخفاء مشاعره وقال «آه حسيت إني قاعد مع بنت أختي».

أغضبها ولكنها قررت أن تتجاهله فهو كائن مستفز يعشق استفزازها، تأخرت «ريم» فهاتفتْها فقالت إنها نائمة.. نظرت إلى «يوسف» شذرًا، فضحك وقال «أوبس، شكلي نسيت أصحيها».



شعرت بسعادة داخلية أنه يريد أن يكون معها وحدها ولكنها أظهرت امتعاضًا لأنه كذب.

عرض عليها أن يلعبا «تحدي أم حقيقة» لتضييع الوقت حتى تستيقظ «ريم» وتأتي.. وافقت.

كان غامضًا بالنسبة إليها وتريد أن تعلم عنه الكثير وكانت هذه اللعبة مثالية ليخبرها بكل خباياه، وحتى إن كذب سيظل هناك بعض الصدق.. قال لها سأبدأ: حبّيتي قبل كده؟.. قالت:

«أنا ماعرفش يعني إيه حُب، يعني اتحبيت ده اللي واثقة فيه، لكن حبيت لأ.. مُمكن حد أكون حبيت حُبه ليّا، حد اهتمامه، لكن كنت أسمع من صحابي عن مشاعر عُمري ما حسيتها ـ نظرت لعينيه وأكملت ـ يعني عمري ما حسيت إني عايزة أبص في عين حد، إني أبقى نفسي أشوفه، أشم ريحته، أغلس عليه، أفرح لما يبقى جنبي.. كان دايمًا فيه حاجة ناقصة، ناقص حُب مش تعوُّد.. أنا كنت باتعوّد عليهم مش باحبهم، عشان كدا ماكملتش في أي علاقة دخلتها».

طلب منها أن تسأله فسألته دون تردد: «يوسف، يعني إيه حُب؟»

فقال: «بُصي أنا لغاية وقت قريب كنت فاكر الحُب هو السرير، الشخص اللي أبقى عايز أوصل معاه لعلاقة كاملة.. بس من فترة قصيرة اكتشفت أن في

حب أفلاطوني، اللي هو انت مش عايز حاجة من الشخص غير تشوفه قدامك وبس، من غير ما تلمسه ولا تقرّب منه.. انت عايزه بكل تفاصيله، عايزه عريان قدامك بس روحه اللي عريانة مش جسمه، عرفت الفرق بين الشهوة والعشق.

أبويا كان دايمًا يقولي: الحب بينضّف الروح، وأنا طول عمري حاسس إني نجس، أول مرة أحس إني نضيف، إني عايز أصلّي، عايز أسجد بين إيد ربنا وأعيط وأدعي كتير.. أول مرة أحس إني مش هاقدر أعمل حاجة غير لما هو يشاء..».

نظر إليها طويلًا ونظرت إليه، كانت تبتسم وكان يريد أن يبكي بين ذراعيها، ولكنه قال «ريم قالتلي إنك كاتبة.. بتكتبي إيه دلوقتي؟»، قالت: «باكتب رواية اسمها (سأرحل).. نكد بس باطلّع فيها اللي جوايا».

ترجاها لكي يقرأها ولكنها كانت تشعر أنها ليست جيدة ولا تزال تريد الكثير من التعديلات وتعرف أن الانطباع الأول يدوم وكانت تريده أن يكون رائعًا فتهربت من الطلب بذكاء كاتبة، وسألها «غريبة.. ليه ماسألتينيش حبيت كام مرة قبل كده؟»، جاوبت: ماحبّتش، عملت علاقات بس ماحبتش يا «يوسف» لسّه.



وشربا القهوة ثم طلب منها أن تتجهز، ورحل لينتظرها في سيارته يخطط ما يمكن فعله لتمضية يوم رائع مع تلك الفتاة الاستثنائية ويحاول إيجاد حل لدقات قلبه المتسارعة.

كانت تنظر إلى نفسها في المرآة فوجدت في عينيها شيئًا لم تجده من قبل، وجدت تلك «اللمعة» التي لطالما تحدث عنها صديقاتها.

ابتسمت ولأول مرة لم تضع مكياجًا وفردت شعرها الغجري ولبست فستانًا من الدانتيل وأخذت شنطتها ونزلت، وجدته واقفًا مذهولًا وقال لها: «بنت.. إوعي تحطي مكياج تاني»، ضحكت وركبت معه.

ازدادت دقات قلبه وهو في حيرة هل تسمع قلبه بين ضلوعه يريد أن يتحرر منه ليسكن ضلوعها أم ماذا.

ذهبا إلى السينما إلى فيلم رعب.. كانت تعلم أنه سيأخذها إلى فيلم رعب لتخاف وتقترب منه ولكنه لا يعلم أنها تنام يوميًّا على فيلم رعب وتعشق مسلسلات القتل.. مسكين «يوسف» !، كانا طوال الفيلم يضحكان والناس تصرخ.

شعر أنها تختلف عن سائر بنات جنسها حتى في التفاصيل الصغيرة، حتى من دون مكياج هي رائعة الجمال ولا تشبه جمال ابن خالته وهذا شيء عظيم لو تعلمون.



كان هناك فرح أحد أصدقائه فذهبت معه ليشتري بدلة مناسبة وفوجئت أنه اختار لها فستانًا لتذهب معه، رفضت، ولكنه أصرّ، قالت له بدهاء أنثى: «هاروح معاك بصفتي إيه يعني!»، سكت مليًا وضحك وقال: «بصفتك كل حاجة».

كانت تريد اعترافًا رسميًا منه ولكنه كان طويل البال حقًا.

ذهبا إلى الفرح وكان كل من رآهما معًا يقول جملته المعتادة «عقبالكم»، حتى حان وقت رقصة السلو، كان جميع من في القاعة يرقصون وطلب منها أن ترقص ولكنها لا تعرف، فأصر ونظر في عينيها واقترب منها، أمسك يديها لأول مرة فشعر بقشعريرة تسير في جسده فأغمض عينيه وسلّم جسده وقلبه لها، كان محمد حماقي في الخلفية يقول «مش معقول أنا إيدي لامسة إيديك.. خايف أكون يا حبيبي باحلم بيك».

اقترب منها أكثر «دا اللي أنا فيه مخطرش يوم على البال، حلم بعيد أنا كنت فاكره خيال»، ففقدت قدرتها عن التحكم بقلبها فاحتضنته ونامت على كتفه وكانا يرقصان كأنه ليس هناك غيرهما ليس فقط القاعة بل في هذا الكون.

شعرت بدقات قلبه تدق في قلبها على نغمات حماقي وهو يقول «متقوليش ودا بردو وقت كلام، وأنا ويّاك غمّض في حضني ونام».



فضمها إلى صدره بقوة، تقسم أن ضلعًا من ضلوعها اتحد مع ضلوعه وفقدته معه!

انتهي اليوم وشعرت «ملك» أن قلبها تركها وذهب إلى الجنة، جنة العشق، ولأول مرة تتركه، تتركه وتطلق العنان لروحها وتغمض عينيها لتنام هي وكلبتها لتستيقظ على جرس الباب لتذهب وتجد صندوقًا ضخمًا أمام الباب، تأخذه وتفتحه لتجد به فستانًا رقيقًا من الدانتيل لونه أبيض وطويل، لتبتسم وتقرأ الورقة التي تنام بين أحضان الفستان ويوجد بها رائحة «يوسف»، ابتسمت وهي تقرؤها «صغيرتي، صباح الخير.. حضّري نفسك النهارده الساعة خمسة هاكون عندك».

لم تفهم ما سيحدث ولكنها سلّمت نفسها له، حضّرت نفسها واتصلت بـ«ريم» لتساعدها، كانت تشعر أنها لا تمشي بل تطير، وعندما دقت الساعة الخامسة بالدقيقة وجدته عند الباب، فتحت لتجده يرتدي ثيابًا عادية، لم تفهم لما إذن جعلها ترتدي فستانًا وتحضر حالها كأنها ذاهبة إلى حفلة في القصر الملكي، ابتسم وقال «ستكونين أجملهم، لطالما كنتِ»، ليأخذها إلى مسرح لتجد كل من حولها يتأملها وكأنها دخيلة على كوكبهم.. لتفهم أنها حفلة شعر لشاعرها المُفضل «عمرو حسن» فتضحك مثل البلهاء وتدخل في سعادة لتكون في الصفوف الأولى وتستمع له وهو يقول:

«أنا كتفي ممكن تلمسه يشوّك غياب.. أنا قلبي ممكن تعصره ينزّل بنات، لكن لسوء الحظ أو حُسنه مابقتش عارف أنسى دي بالذات وكأنها كوردات عمر خيرت».

ليقول معه «يوسف» بصوت عالٍ وينظر إليها بعشق كأنها معزوفة مميزة لم يسمع مثلها قط.

ثم ذهبا إلى البحر، قرر أن يتأملا الشروق معًا، في الغروب يعني موت الشمس أمّ الشروق فهو ولادتها، وهو يريد أن يشهد معها ولادة عشقهما الأبدي.

ظلا يتحدثان كثيرًا عن ذكرياتهما الصغيرة وأسرارهما البسيطة والعظيمة، حدّثها هو عن البنات اللواتي عاشرهن، عن الفتاة التي سرقت قلبه وعن موتها، عن أهله وعن قلبه وأحلامه.

وحدثته هي عن خوفها من العشق ومن تسليم قلبها، كانت تشعر بالبرد فأعطاها الجاكيت خاصته، وقال لها في خبث «انتي بردانة وادّيتك الجاكيت وعملت فيها جان، طيب دلوقتي أنا سقعان.. فحضرتك هتحضنيني عشان أدفا».

نظرت إليه وما لبثت أن تُظهر غضبها حتى ضمها إليه وهو يقول:

«تعبتيني يا بنت اللذينه، اتهدّي بقى طلّعتي عيني»، لتجد نفسها تضحك

وهي تحاول أن تُبعده لكنها لم تفلح أبدًا فاستقرت بين ذراعيه وهما يشاهدان الشروق.

أخذها وذهبا ليشربا قهوة، كانا يريدان أن يناما ولكن كانا بالسعادة الكافية التي تجعلهما يشعران بأنهما لا يريدان شيئًا سوى أن يبقيا معًا، ثم ودّعها ليذهب هو إلى عمله وتذهب هي إلى بيتها وتخبر كلبتها بكل شيء وتنام وهي تشعر بأنها بخير، لأول مرة تشعر أنها بخير حقًا ولا يوجد خوف بداخلها.

لقد مرّ يومان منذ آخر لقاء مع «يوسف»، كانت «ملك» قلقة، تحاول معرفة سبب اختفائه دون أن تُظهر اهتمامها لـ«ريم».. ولكن «ريم» سألتها بنبرة صريحة حازمة لم تفهم «ملك» سببها: «هو انتي بتحبيه؟»، لم تجب «ملك» ولكن أجابت عيناها عنها.. قالت لها «ريم»:

يوسف دا صاحبي من زمان وأنا باعتبرك زي أختي فنصيحة مني بلاش «يوسف»، «يوسف» قادر يطلعك سابع سما ويحسسك إن مافيش منك وفجأة بلا مقدمات تلاقي واحدة غيرك في حضنه، «يوسف» مابيعرفش يحب يا «ملك»، «يوسف» بيعرف يوجع بس.

ثم تركتها «ريم» ورحلت وبقيت «ملك» تحاول أن تفهم سبب كلمات «ريم» التي زلزلت كيانها، ولكنها تشعر أنها امرأة استثنائية في حياة «يوسف»، تشعر



أنها تختلف عمن سواها ولكن ماذا لو «ريم» على حق.. ماذا لو سلّمت قلبها ثم فوجئت بأخرى بين ضلوعه..؟ حاولت أن تهدأ وتتجاهل ما بداخلها حتى تطمئن عليه أولًا.

كانت الساعة الثانية فجرًا حين دقّ باب «ملك»، استيقظت مفزوعة ذهبت لترى من هناك فوجدت «يوسف» يقف، فتحت الباب مسرعةً، وجدته سكرانًا يهذي ويقول فقط: «ملك، أنا عايز أتغير.. أنا باحبك».

ضمّته في حنان وأخبرته أن كل شيء سيكون على ما يرام.

كانت تريد أن تتحدى «ريم» ونظرتها إليه، فهي تستطيع أن تجعله أفضل.

همّت لتصنع له كوبًا من القهوة ولكن عندما رجعت وجدته نائمًا فجلست بجانبه تتأمل ملامحه، لمست يديه وشعرت لوهلة أن ذلك الكائن الضعيف أمام نفسه، يحتاج إليها وهي تعشقه، نعم تعترف أنها تحبه ولأول مرة يأسر أحدهم قلبها رغم محاولاتهم المستميتة، عليها أن تحارب لكي تحافظ على حبها.

نامت وهي تتأمله، استيقظ صباحًا ليجدها نائمة أرضًا، حملها ليذهب بها إلى غرفتها ولكنها فاقت وهي بين ذراعيه.. همس إليها: «صباح الخير».

ابتسمت وقالت «صباح الخير جدًّا».

ضحك وقال عفويًا: «حلوة وانتي صاحية من النوم».



احمرّ وجهها وطلبت منه أن يُنزلها، تمنّع وقرّبها إليه وهو يقبّل عنقها: «لأول مرة أفهم يعني إيه تحب ريحة حد، مش ريحة بيرفيوم، لأ.. ريحته هو، يمكن لأن عمري ما اهتمّيت بتفاصيل حد».

شعرت بنفسها تذوب بين ذراعيه فأظهرت غضبها وصرخت في وجهه: «أنا سيبتك تنام بس في البيت لأنك كنت تعبان وجيتلي، لكن أكتر من كدا ماتحلمش»، ويواصل استفزازها بعد إنزالها وهو يقول «يتمنّعن وهنّ راغبات»، وضحك فدخلت غرفتها تصرخ: «سخيف»، لتجد صوته عند الباب: «حبيبتي باعمل قهوة أعملّك معايا؟»..

قالت له: حَبَّك برص يا «يوسف»، مش عايزة زفت! لتجده يضحك أكثر فتضحك صامتةً لصوت ضحكه وبداخلها يصرخ: «إلهي.. كم أحبه».

خرجت من الغرفة لتجده يتحدث مع «ريم» يخبرها أنه بخير وأن تهدأ.

شربا قهوتهما وهي تريد أن تسأله عما قالته لها «ريم»، ولماذا هي تكرهه بالمقدار الذي تحبه به، لم تفهم سر قوة علاقتهما الغامضة فهي تشعر أحيانًا أن «ريم» تكرهه وأحيانًا النقيض، ولكن عندما تحركت شعرت برائحة «يوسف» في ثيابها فتغير مزاجها وشعرت أنها هي فقط من تملكه، إنه يحبها.. فابتسمت فجأة، وقال هو:



«حبيبتي المجنونة اللي بتضايق لوحدها وتفك لوحدها، مالك.. ولّا تكوني غيرتي من ريم؟!».

لتجاوب: لا طبعًا أغير من «ريم» إيه بس.

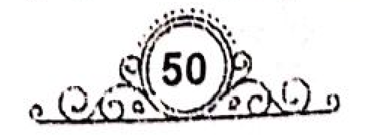
فاقترب منها وهو يقبِّل رأسها ويمسك يديها: «ملك، أنا باغلط كتير، أنا وحش.. بس أنا عايزك تساعديني أكون أحسن، عايزك لما أغلط تسامحيني، لما أبكي تحضنيني، لما أوجعك ماتبعديش.. أنا محتاج وقت عشان أبعد عن كل حاجة وحشة باعملها.. مُمكن؟!».

ابتسمت في وجع وهي تفهم أنه الآن يقول لها: «سأدمرك ولكنكِ باسم الحُب ستغفرين لي، سأخونكِ ولكنكِ باسم الحب ستغفرين خياناتي وتأخذينني بين ضلوعك».

كانت تعلم أنها إن وافقت ستكون تمضي نهاية عصر كبريائها وستبدأ عصر العُشاق المُجبرين على أمرهم.. ولكن ما لم تعلمه أنها قد مضت عقد العشق يوم أخذها بين ضلوعه وتركت قلبها في قلبه.

صمتت «ملك» وهو أمامها، عيناه ترجوها أن لا تتركه أبدًا كأنه ابن عاصٍ يطلب من أمه المغفرة.

لمست وجهه بحنية وبقيت ترسم على ملامحه بيديها، كان قد أغمض عينيه كأنه



ذاب من لمستها له، واقتربت منه وهمست في أذنه: «لن أرحل».. ليضمها وهو يبكي، ثم قبّل يديها وابتسم لها في امتنان.

تجاهلت ما تشعر به وقالت له «ربما يجب أن نذهب لريم لأنها كانت غاضبة اليوم لسبب ما».

رد بالموافقة وهمّا بالرحيل حتى نظر إليها وقال: «ملك، جهّزي نفسك النهارده عشان عازمك على العشا بالليل في مكان غالي جدًّا»، صرخت بطفولة: «كوابيس».. ليضحك هو أيضًا بصوت عالٍ، ويقول «مجنونة، باحب واحدة مجنونة»، ثم صمتا للحظات وقال: «يلا عشان مانتأخرش».

ذهبا إلى «ريم» وعندما رأت «ريم» «يوسف» همّت واقفة تحضنه وتخبره أنه صديق سيئ، كيف يختفي هكذا.. لم تشعر «ملك» بالغيرة، إذ إنها كانت تعلم قوة علاقتهما، بل كانت تحب علاقتهما وتتمنى لو كان لها صديق مقرب مثل «يوسف».

أخبرت «ملك» «ريم». أن «يوسف» سيعزمها مساءً في مطعم «كوابيس» فضحكت «ريم» وأخبرته أنه مقدم على مواعدة فتاة تبلغ من العمر الفعلي خمس سنوات..!

ذهبت «ملك» وتركتهما لكي تستعد لعشاء الليلة، حاولت إخفاء أهمية الموضوع



بالنسبة إليها ولكنها لم تكن جيدة بما يكفي حقًا.. ضحك «يوسف» وهمست له «ريم» مقلدة صوت زينات صدقي «يا سارق قلوب العذارى»!

رجعت «ملك» إلى بيتها، حاولت إيجاد ما ترتديه ليناسب الليلة فوجدت أن أفضل ما ترتديه للحُب هو الحُب.. ارتدت فُستانًا بسيطًا كان هدية أمها لها في عيدها ميلادها الحادي والعشرين، كانت تحبه، لم يكن الأكثر أناقةً وجمالًا لديها ولكنها كانت تحبه، قررت أن تبادل الحُب بالحُب.. وعندما مر عليها «يوسف» وقف لم يتحرك ثم ابتسم وعيناه تدمعان وهمس «تبدين رائعة الجمال»، قالت «إنه الحُب عزيزي».

قال إنه لا يريد أن تكون الليلة رسمية، يُريد أن يشعر بالحرية.. اتفقا على أن يذهبا إلى البحر أمام المد والجزر واليود والحُرية.. وقف «يوسف» لينظر إلى عيني «ملك» ويخبرها:

«تعرفي إنك تستاهلي أحسن راجل في الدنيا، راجل تبقي انتي أول كل حاجة حلوة في حياته.. مُمكن تلاقي راجل مثالي بس مستحيل تلاقي راجل فيه كل العِبر ومستعد يبقى مثالي عشانك، راجل أناني بس دايمًا بيفضّلك على نفسه، راجل زنديق بس معاكي قديس.. تستاهلي حد بيحبك بجد مش حد بس صفاته تحسسه إنه يستحق حد في طهارتك.. ملك أنا باحبّك».



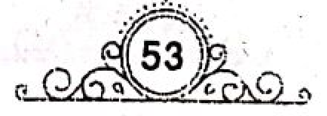
لم تتمكن «ملك» من الحديث رغم أنها تخيلت «يوسف» يقول لها «أحبك» مئات المرات في خيالها ولكنها لم تستطع إيجاد الحروف فقالت له «حلوة ريحة البحر بالليل».

اقترب منها وهمس: «جايز يكون استمد منك حلاوة ريحته».

جلس على الرمال وأجلسها بجانبه ثم نام على رجليها وظلت تغني له ويحكي هو لها أسراره الدفينة التي لم يخبر بها أحدًا قط:

«ملك، تعرفي إني كنت دايمًا باتضرب وأنا صغير في المدرسة رغم إني ماكنتش ضعيف ولا صغير، بس ماكنتش باحب أضرب حد، لحد ما ضربت واحد جامد وفتحتله دماغه، تعرفي وقتها بس بقى كله بيحاول يصاحبني ويقرب مني.. عرفت وقتها أن الناس بتحب اللي يوجعهم مش اللي يحترمهم، كنت بحب بنت في المدرسة اسمها ملك برده.. تخيلي، كنت بحب اسمها جدًّا كأن القدر كان بيحضرني من وأنا صغير ليوم لقاكي.. بس أنا حولت من المدرسة وسافرت.. كنت اتعلقت بيها جدًّا وفضلت أحبها فترة طويلة، كان عندها...»، أكملت «ملك»: «وحمة في دراعها شبه خريطة العالم»، نظر إليها ذاهلًا، وقالت له بابتسامة: «كنت مستنية تحكي عني جدًّا».. قال:

«إزاي؟ يعني انتي هيّا؟ طيب ليه ماقولتيش؟ يعني ليه.. أنا فضلت أدوّر



عليكي لحد ما لقيتك انتي.. يعني أنا كنت بادوّر عليكي فلقيتك انتي بداها صدفة فطلعتي هيّا.. أنا مش مستوعب»!

ضمّته إليها وقالت «إنه الحُب يا عزيزي.. كان لازم أعرف هتحبني لمجرد إني ملك ولّا هتحب ملك لأنها الاتنين من غير ما تعرف».

كانت ليلة مليئة بالعشق الممزوج بالخجل من «ملك» والجرأة مع نظرة تحدً لأنوثتها من «يوسف»، ولكنها مرت بسلام.

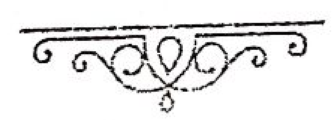
ذهب لـ«ريم» وظل يحكي لها عن ليلته ويخبرها أنها «ملك».. «ملك» التائهة، قالت له إنها أقسمت أنها لن تخبره وإلا كانت«ملك» ستغضب منها.. وجلست «ريم» تشاهد مسلسلها المُفضل عن مصاصي الدماء، وهو يسألها:

- ريم، انتي كويسة؟
- آه تمام.
- لأ.. استني كده أعملّك قهوة معايا ونقعد نرغي واحكيلي مالك.
- ليه، مش هاتكلم ملك؟
- هاكلمها، بس «ملك» حاجة وانتي حاجة، وكوني مع «ملك» دا مش معناه إني هانسى صديقة عمري كله وأختي.



- آه صح،ماينفعش تنسى أختك، بس عامةً أختك هتخش تنام.. اشرب القهوة لوحدك.

لم يفهم «يوسف» ما تعنيه «ريم» ولكنه اعتقد أن الفتيات أثناء تغيير هرموناتهن يملن دائماً إلى البكاء والاكتئاب والشوكولاته والمسلسلات التركي أو مصاصي الدماء أو الهندي، ولكنه تركها تنام في كل الأحوال وجلس يتذكر تفاصيل اليوم ويبتسم بشغف عظيم.





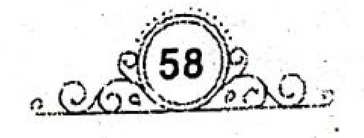
6

(لطالما أحببتُ فيكَ ما كرهتَه أنت في قلبك، لطالما تقبلتُ حتى قسوتَك وعدم قدرتك عن الغفران كأنك تتمسك بأتفه التفاصيل حتى تشعر أني أخطئ مثلك، أني أوجعك مثلما توجعني، وكأننا في حرب ويجب أن نرد الصاع صاعين.. أشعر أحيانًا أنك تنسى أني بشر يا «سليم»، فأنت غضبت مني لأني حادثت صديقي وكان يبكي لأنه انفصل للتوّ عن حبيبته، كان يبكي عشقًا يا «سليم»، حقدتُ عليها لأنها تجد من يبكي على فراقها أما أنا فأنت تعاشر العشرات حتى تنساني في أحضانهن! بكيت معه كثيرًا ليس لإحساسي بالشفقة عليه بل لأنني مثيرة للشفقة يا «سليم»، جعلْتني مثيرة للشفقة، فها أنا ذا أبكي أيامًا لغيابك، أبكي وأنا أعلم أنك تعاشر إحدى الساقطات الآن وتهذي باسمي

بين ضلوعها من حين لآخر، ولكن ما الفائدة حين يكون العاشق خائنًا؟ حين يكون أنت يا «سليم»، أظن أن العشق يخجل أن يرتبط اسمك باسمه).

كتبت «ملك» تلك الكلمات وهي تفكر أن ربما «رهف» تشعر بالغضب منها لأنها أهملتها، دائمًا ما كانت تشعر أن «رهف» صديقة تحادثها عن «سليم» ومعها حقًّا هي ليست مجرد شخصية من صنعها.. كانت تفكر في «يوسف»، كانت تفكر في ما تريده، هل حقًّا تريد أن تكون معه؟ هي تشعر بانجذاب نحوه ولكن هل هو الشخص الذي تريد أن تكمل ما تبقى معه؟ كانت تشعر أنه ربما سيئ ولكنها تستطيع أن تجعله أفضل، فقط بعض الحُب يحل كل شيء، كانت خائفة فهي لم تستطع ترك قلبها يخرج عن طوعها من قبل، كيف لها أن تخبره أن يسكن ضلوع غيرها، أن يتنفس هواءه، أن يعشقه دون قيود.. كانت تعلم أنها ليست الفتاة التي ستعشق بكامل قلبها ولكنها ستعشق بكامل عقلها.. كانت تريد أن تشعر أنه حقًّا لم يعد «يوسف الزنديق»، كانت تريد أن يقتحم قلبها ويستوطنه، لا تريد حُبًّا تقليديًّا.. كانت خائفة، هاتفت «ريم» تخبرها:

«ريم، هي البنات اللي بتعرف تقرر تدخل علاقة بتقرر على أساس، عن الحُب صح؟، طيب إزاي بتعرف تسلم قلبها وتحب بجنون من غير ما تمسك قلبها.. أنا مش باحب يوسف، أنا عايزة أبقى معاه، عارفة الفرق؟، يعني حابة وجوده»



أسلوبه وكلامه، بيوحشني، بابقى عايزة أفضل باصّاله كتير.. باحبه فعلًا بس مش الحُب الجنون.. أنا متلخبطة بس ليه مش فرحانة زي أي بنت بيدخل حياتها واحد بيحبها؟..

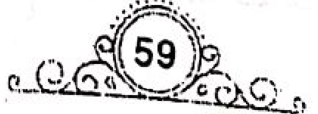
عارفة إيه أوحش حاجة في الدنيا، إن واحدة تحب واحد وتبقى عارفة إنهم مش هيكملوا أو على الأقل احتمال إنهم مش هيكملوا، أنا متأكدة إنه هيغلط غلطة تكسر قلبي وساعتها هاكرهه.. يمكن من حبي فيه مش عايزة أسلمله عشان ماكرهوش.. بس لأ، أنا باحبه يا ريم، أنا خايفة بس باحبه، باحبه بجد».

صمتت «ريم» ولم تعرف ما يجب قوله، أخبرتها أنها يجب أن تنام لأن لديها يومًا حافلًا غداً وتركتها وحدها وسط ظنونها.

فكرت «ريم» كثيرًا في كلام ملك، وتوصلت إلى أن المرة الوحيدة التي يعشق فيها «يوسف الشرقاوي» يكون عشقه مُقيدًا وسيكون مُرهقًا وموجعًا كما أوجع الكثيرات، أهي عدالة السماء أم أنها سخرية القدر؟!

كانت علاقة «يوسف» و«ملك» مليئة بالشغف والرومانسية، كان كل من يقابلهما يحسدهما على ذلك الحب الذي يجمعهما..

لم يعلموا صراع «ملك» الداخلي بين قلبها وعقلها ولم يعلموا صراع «يوسف» بين شهوته وقلبه، فهو شخص مُعتاد على النزوات كيف له أن يكون قديسًا لأنه



عشق، كيف لجسده أن يقتنع؟ كانا يسخران بداخلهما حين يحسدهما الآخرون، كانت «ملك» بداخلها تعرف أنه سيكسر قلبها وسترحل عنه، كأن «يوسف» يعلم أنه سينهار ويوم تعلم «ملك» سترحل عنه فكان يحاول التماسك..

كانت خائفة ولكن لسبب تجهله هي معه، كان يعشقها ولسبب يجهله كان يشعر أنها تستحق ما هو أفضل لها، تستحق شخصًا لا يجرؤ على التفكير بغيرها..

شخص لا تنتفض عندما يلمس يديها لأنها تعلم أنه يريدها قريبة فقط لا يريد جسدها، كان يشفق عليها من الصراع الذي بداخلها، فرجل مثل «يوسف» مرّ عليه الكثير فكان يعرف ما تفكر فيه الأنثى من عينيها..

كان يفكر بكل هذا وهي أمامه شعرها منسدل وتلبس فستانًا من الدانتيل قصيرًا ولكنه ليس مبتذلًا، تشرب قهوتها، كانت تعشق القهوة الفرنسية وتشربها كأنها تحادث صديقًا له مشاعر وليس مجرد مشروب ساخن به الكافيين.. قال لها: «نفسي أعرف بترغي في إيه مع القهوة».. ضحكت وقالت له: «أسرار دولة، هاقولك لما تقولي عينيك كانت مدمعة ليه»، فضحك وصمت وبداخله الكثير من الأسئلة والحديث والبكاء..

كان يريد أن تحتضنه ويبكي بين ضلوعها، كان يريد أن يشعر أنها لن تتركه..

كان خائفًا من خوفها وقطع صمتها صوت هاتفه كان صديقًا قديمًا ليوسف،

شعر أنه قد ظهر في وقته مجددًا فهو يحتاج من هم في مثل احترامه فـ«المرء على دين خليله».. اتفقا أن يتقابلا ليلًا في أحد كافيهات وسط البلد فقررت أن تجلس هي مع «ريم» وتكون ليلة فتيات.

تقابل هو وصديقه كأنهما ما زالا أولاد العشرين لم يكبرا، حكى له «يوسف» عن «ملك» وعما بداخله من خوف وعما بداخلها، وحكى هو لـ«يوسف» عن تلك الفتاة التي سرقت قلبه ولم يرها مجددًا ويبحث عنها وأخذا يحكيان عما فعله الزمن بهما وعن أصدقائهما، مَن مات ومَن تزوج ومَن سافر، وعنهما حتى انتهى اليوم وذهب كل منهما إلى بيته مقررًا أنه سيعيد رباط الصداقة بينهما مجددًا.

كانت «ريم» ترتدي قميص نوم خفيفًا وكانت «ملك» تلبس بيجامة كطفلة في السادسة.

لم تعلِّق أبدًا «ريم» على تصرفات «ملك» ولم تعلق «ملك» على تصرفات «ريم» رغم تساؤلاتها الكثيرة، هي لا تعلم لِمَ يبيت أحيانًا «يوسف» عند «ريم» ربما لأنهما أصدقاء من الطفولة، لكنّ ذلك لا يصح، ولكن هل يصح شيء مما تفعله «ريم» أو «يوسف»..؟ هل تلبس «ريم» هكذا أمامه؟ ظلت تتساءل وهي صامتة وشغّلت «ريم» بعض الموسيقا وأخذت ترقص، وطلبت من «ملك» أن ترقص معها ولكنها اعتذرت فقالت لها «ريم» إنها ستعلّمها الرقص..



وإذا الباب يدق ففتحت «ريم» بذلك القميص الخفيف الذي لم تكن تلبس شيئًا غيره، كأن «يوسف» على الباب فقال لها «يا بنتي نفسي مرة تكمّلي لبسك قبل ما تفتحي الباب»، ودخل ليبحث عن «ملك» فوجدها أمامه مثل الطفلة وكانت هي غاضبة من تعليقه على «ريم» وغاضبة من «ريم» أيضًا، لم تكن تشعر بالغيرة ولكن كانت تشعر بالاشمئزاز.

فإذا بيوسف يقترب منها قائلًا: «شايفة البنات.. مش معايا بنت أختي!».. غضبت كثيرًا ولكنها لم تستطع أن تذمّ صديقتها فقررت العودة إلى بيتها، ولكن «يوسف» أخبرها أنه كان يمزح رغم يقينها أنه يريدها أن تكون مثل «ريم» ولكنها لن تكون فرحلت بعدما قالت له «عاجباك خليك معاها، أنا زي ما أنا ومش هاتغيّر».

ورحلت في صمت، وسمعت «ريم» ما دار ولكنها لم تتدخل.. غضب «يوسف» وأخذ يصرخ: «أنا مش عارف أتعامل معاها، كل ما أتكلم أحس إني مُقيد، إني لازم أخلي بالي من كلامي.. إني مش عارف أطلب منها اللي محتاجه كراجل في حياتها.. ريم أنا مش قديس، أنا شخص وسخ وليّا احتياجات وهيا مش هتعرف تدّيهالي وأنا مش هاعرف أخونها، مش هاقدر أخونها ومش قادر أتحول لها راهب».



احتضنته «ريم» حتى يهدأ، وكأنه اكتشف أن «ريم» أنثى لأول مرة.. اقترب منها أكثر كان يشعر بدقات قلبها، كان دائمًا يشعر أنها تحبه ولكنه كان يكذّب إحساسه حتى لا يخسرها، نظر إليها فوجدها مغيّبة في عالم آخر وهو بداخل ضلوعها، قبّلها فكأنها فقدت وعيها للحظات ثم نظرت إليه وعيناها دامعتان وقالت: «انت بجد يوسف؟». لم يتحدث، بل قبّلها مجددًا.

كانت تشعر بأنفاسه، وشفتاه كانت كأنها أرض صحراء جرداء وفجأة أصبحت خصبة، كان يلتهم شفتيها وكانت ذائبة بين يديه.. كانت قد فقدت الأمل أن يشعر «يوسف» بما بداخلها من عشق مكتوم له، كانت دائمًا تلك الصديقة التي تقف بجانبه، تحميه، تسانده.. جعلهما يبتعدان صوت بكاء مكتوم.. نظر «يوسف» ليجد «ملك» أمامه، كانت قد نسيت هاتفها.. كان هو في حالة غضب لدرجة أنهما نسيا أن يغلقا الباب.

فزع «يوسف» لكنه لم يتحرك من مكانه، شعر كأن الأرض تدور به، إنه لا يستطيع أن يتحدث أو يبرر.. وضع يديه على وجهه وشعر أنه يحتضر، أن هناك كوكبًا جديدًا سيكتشفون مكانه فوق قلبه مباشرة يجعله غير قادر على التنفس.. قالت «ملك»:

«أنا كنت عارفة إنك هتعمل حاجة توجعني بيها، كنت متأكدة كمان، عُمري



ما اطّمنت دايمًا كنت باتخيل مليون سيناريو إني هادخل ألاقيك في حضن واحدة، إني هالاقيك عريان معاها حتى، تخيلت تفاصيل علاقتكم.. بس ريم! ماتخيلتش إنها تيجي منكم انتم».. ورحلت بكبرياء.

كانت تتحدث بسكون مُميت كأنها أطفأت ما بداخلها من مشاعر.. رحلت بلا مشاعر، بمنتهى اللا مبالاة من شدة الوجع.

رحلت وقد قررت أن تتذكر هذا المشهد كلما ضعفت واشتاقت إليه.

كانت تشعر أنها ليست بخير؛ لم تستطع أن تقود السيارة أكثر، فتوقفت عند البحر لعلها تستطيع أن تتنفس، كانت شبه فاقدة الوعي؛ وجهها شاحب، صامتة، عيناها تشبه الباندا من البكاء وكحلها السائح.. وجدت أمامها ذلك الشخص الذي أنقذها مسبقًا!

نظر إليها وهو فزع ويسألها: «مالك، انتي كويسة؟»، ضحكت كثيرًا حتى بكت وأخبرته أنها في أفضل حال، كانت تاركة باب سيارتها مفتوحًا وكانت ترتدي بيجامتها، لم تغير ثيابها.

خلع الجاكيت ووضعه على كتفيها وجلس بجانبها يتأمل ملامحها الحزينة.

نظرت إليه وقالت:

«عارف، من الغباء إنك تدخل حاجة وانت عارف آخرها، لأنك مش هتبقى

زعلان بس إن ده آخرها لا ده انت هتبقى كاره نفسك بسبب غبائك إنك عارف وكنت بتقاوح.. هتبقي زعلان منك وعليك وربنا يكفيك شر لما تزعل من نفسك وعليها».

لم يتحدث «أدهم» مطلقًا، كان يريدها أن تشعر أنه شخص خيالي غير موجود حتى تتحدث بكل ما بداخلها عساها تشعر بتحسن.

ظلت تهذي حتى الشروق، شربا القهوة وشعرت أنها رأته من قبل، فقال: «أنا أنقذتك قبل كده من العيال اللي كانوا بيضايقوكي في نفس المكان»!

ضحكت وقالت: «انت ملاكي الحارس على كده!».

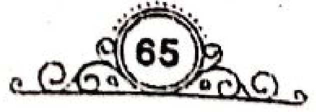
ابتسم ونظر إليها بعشق وقال: «أنا كنت متأكد إنك هترجعي هنا في يوم فكنت باسهر هنا على أمل إني أشوفك».

نظرت إليه بضياع وقالت: «كويس إنك لقيتني، أصل أنا مش لاقياني»!

طلب منها أن يوصلها إلى بيتها ولم تكن لديها القدرة على الاعتراض، فهذا الرجل قضت معه الليل على البحر ولم يحاول المساس بها، ربما حقًا ليس كل الرجال «يوسف الشرقاوي».

ابتسمت وقالت له «أدهم، شكرًا».

فأوصلها إلى بيتها وكانت شبه نائمة في سيارته.



عند باب عمارتها أخذ مفاتيح سيارتها وأخبرها أنه سيأتي بها لها وأن لا تقلق.

كانت تشعر بأمان معه كأنه أبوها أو شخص تعرفه قبل الخليقة.. لم تكن لتعترض، ابتسمت ورحلت.

نامت وهي تبكي كرامَتها لا «يوسف»، فهو لا يستحق، تبكي صديقتها.. تشعر بالوحدة ولكن لا بأس بالوحدة إن كان معناها التخلص من النفاق والكذب.

لا تعلم كم مرّ من الوقت وهي نائمة، شعرت أنها خارج الزمان والمكان، لا تعلم أين هي وما حدث. استيقظت على صوت الباب.

قامت مفزوعة لتعرف من الذي مُصّر على زيارتها، لتجد «أدهم» أمامها معه العديد من العلب، لم تستوعب ماذا يحدث ولكنها دعته للدخول وأخبرته أنها نائمة منذ يوم ونصف اليوم تقريبًا لم تأكل ولم تصحُ.. نظر إليها بحنان وقال: «قلقت عليكي».

قالت: «ماكانش لازم تتعب نفسك، كفاية اللي انت عملته».

قال: «العربية تحت وماتحركتش من مكانها فقلقت وسألت البواب على شقتك وسألته نزلت إمتي فقالي مانزلتش حتى الزبالة ماطلّعِتهاش».

ابتسمت وشعرت بامتنان لاهتمامه.



أحضر لها وجبتها المفضلة من ماكدونالدز «بيج ماك»، سألته: «عرفت ازاي إني بحبه؟»، قال: «بصراحة أنا ماورايش غيرك، فإمبارح فتحت الفيس بوك وفضلت أقرا كل كلامك وأعرف بتحبي إيه وكده يعني»، وضحك وأكمل: «هتلاقي كمان شاورما وجيلي كولا».

ضحكت رغمًا عنها وأخبرها أنه ليس هناك وقت للاكتئاب فلديها يوم مشحون، وإنها منذ اليوم صديقته الصدوقة ويجب أن تكون معه دائمًا.

لم تعترض وشعرت أنها لم تقابل أحدًا بهذا النقاء من قبل وأنها بحاجة إلى بعض منه في حياتها.

تذكرت «ريم» و«يوسف» هل هما معًا الآن، منذ متى وهو يخونها معها..!

سرحت، فوجدته يهمس في إذنها: «لأ.. فوقي، باقولك يوم طويل».

شعرت بقشعريرة تسير في جسدها فلم تُرد أن يشعر بها حدث فقامت لتتجهز وأخبرها أنه سينتظرها في سيارته.

ضحكت كثيرًا معه، شعرت بما لم تشعر به يومًا مع «يوسف»، شعرت بالأمان، شعرت بأنها على سجيتها، لم يكن عليها الادعاء، كانت تتحدث كأنها جالسة مع إحدى صديقاتها، لم تشعر بالخجل منه حتى في التهامها للطعام، كان ينظر إليها مبتسمًا فقالت له:



«لأ، النظرة دي هتيجي عليك بخسارة، بُص أنا لسه خارجة من علاقة فاشلة، هيا فاشلة من الأول يعني بس قولت أعطيها حقها مني، اتخنت، ولسه برضه مكتشفة خيانتهم ليا إمبارح قبل ما انت تشوفني.. ماعرفش ازاي بتكون موجود في أكتر وقت بابقى محتاجة أسند فيه على حد، بس أنا مش عايزة أخسر ده.. أول مرة أبقى فعلًا مش عايزة أخسر حد، فبلاش تحبني.. أنا عنيدة، دبش، عصبية، مزاجية، في ثانية باضحك اللي بعدها متكومة وباعيّط.. خليك جنبي بس، اتفقنا؟».

قال لها بعدما زادت ابتسامته:

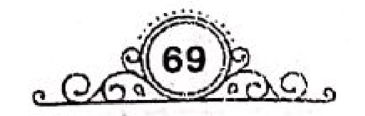
«وعد مش هاحبك، أنا من يوم ما شوفتك على البحر الساعة 2 وأنا بادوّر عليكي، قالب عليكي الدنيا.. مستنّي أشوفك وألمحك تاني عشان أجري عليكي وآخدك في حضني.. انتي حتة مني، الجزء الناقص اللي فيّا وأنا مش هتخلّى عنك، دايمًا الإنسان بيفضّل نفسه على أي حد وانتي بقية نفسي فأنا مش هاوعدك إني مش هاخونك ولا إني هاوجعك، لأن ماحدش بيخون نفسه، ومش هاجبرك على حاجة، أنا بس جنبك.. حابب أكون جنبك، أشوفك بتاكلي وبتضحكي وبتصرخي وبتلعبي كأنك بنت عندها تلات سنين مثلًا، كأنك بنتي.. صدقيني حُبي ليكِ طاهر زي حُب الأب لبنته وهو عايز



يشوفها بتخطي أول خطواتها.. خليني أسندك وأعلمك تمشي إزاي وأنا مش هاحسسك إني باحبك حتى غير لما انتي اللي تطلبي مني دا.. مش هتخسريني أبدًا.. وعد مش هاحبك»، وهمس لنفسه «أنا هاعشقك»!

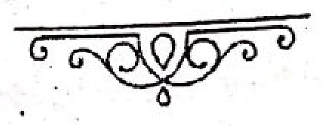
لم تجد ما تقوله ولكنها كانت تبتسم وهي تبكي.. كانت تريد أن تضمه كأُم وتهمس في أذنه أنها تحبه.. كانت تعرف أنها عاطفيًا مشوشة، أنها وحيدة ومثيرة للشفقة.. كانت تريد أن تجتاز كل ما بداخلها من وجع لكي تستطيع أن تبدأ مجددًا من الصفر، كانت تريد أن يكون صفرها، ذلك الكل شيء المُكتمل.. كانت دائمًا ما تشعر أنها تشبه «سليم» لذلك كانت دائمًا تجد له مبررات.. أفاقت مما بداخلها وقالت: «شكل أول مرة ذوقي هيتعدل في الرجالة، حتى بطل روايتي زيهم!».

فضحك من تلقائيتها وأحضر لها غزل البنات وجلسا عند المكان الذي لطالما رآها عنده، عند البحر تشاهد الغروب.. كانت تظن دائمًا أن مشهد الغروب مؤذٍ وليس رومانسيًا، فالغروب هو لحظة موت الشمس واختفائها، متي كان الموت رومانسيًا؟ متي كان حضور الليل شيئًا جيدًا، والليل كأنه منشّط للاكتئاب، ويزداد عند منتصف الليل كأنه قاتل متسلسل يودي بحياة ضحاياه، كانت تتأمل مشهد الغروب وقلبها يتألم وكأنها تشاهد لحظات احتضارها.



قالت بلا مناسبة: «يا بخت الناس اللي بتعرف تاخد قرار في اللحظة المناسبة مش لما يفوت الأوان، الناس اللي بتعرف تقول لأ، الناس القوية اللي بتقدر تبعد لما يبقى الفُراق واجب.. الناس اللي لو في موقفي دلوقتي هتقولك: أنا لسه خارجة من علاقة فاشلة ومش مستعدة أدخل في أي حاجة جديدة، محتاجة أكون لوحدي أعيد حساباتي وأداوي نفسي، مش عايزة أدخلك في متاهات ووجع هيخلص أول ما أتداوى وأبعد عنك لأنك باختصار هتفضل تفكرني حتى لو بطريقة غير مباشرة بالمرحلة اللي بامرّ بيها حاليًّا.. صدّقني باتمنى أكون في قوتهم مش في هشاشة البنت اللي عايزة تترمي في حضنك وتشكيلك من وحدتها ووجعها، وإنها عايزاك جنبها أنانية منها لأنها مش عايزة تبقى لوحدها وإنك الوحيد اللي باقيلها».. ثم صمتت وتأملت نهاية الغروب وغياب الشمس بشكل نهائي وهي تتخيل أنها علامات القدر، أن أحلامها تموت ولن تكون مثلهم أبدًا.

صمت «أدهم» وقرر في قرارة نفسه أن لا يضغط عليها ويتركها تفعل به ما يحلو لها.

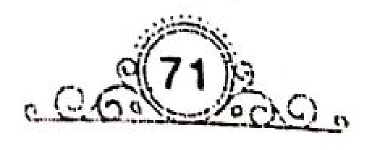




7

لقد مرت شهور منذ أن سمعتُ صوتك يا «سليم»، بأيِّ حق تختفي وقتما تشاء وتعود لتجدني أنتظرك؟ بأيِّ حق تأسر قلبي رغم عدم وجودك..؟ أنا لا أريدك، أريد أن أكرهك ولكن كلما قررت أن أنساك أجدني أتذكرك، أتذكر عينيك وبسمتك، لمستك، رائحتك.. كلما هممت أن أكرهك أجدني أقع في عشقك، كيف لك أن تكون بتلك القسوة؟ كيف لك أن تتركني؟

تترك صغيرتك وحدها في الليالي الشتوية تبكي وترتعش كطفلة شريدة بعد نهاية حرب، طفلة قُتل أهلها وكل من لها ولا تجد حتى القوة للبُكاء؟ كيف لك أن تتخلى عن أبوّتك التي لطالما ادّعيتها يا «سليم»؟!



8

أخذت تفكر في «يوسف».. هي لم تحبه حقًّا، هي لم تعرف أبدًا ما هو الحُب، هي احتاجت إلى ذلك الشعور فاستدعته ولكنه لم يكن نابعًا من داخلها.

هي لم تتألم لخيانته فهي كانت تعلم أنه سيخون يومًا، هي تألمت لفقدانها صديقتها.

تألمت لأنها ظنت أنها ستبكي حُبها الوهمي بين ذراعيها الآن ولن تبكي وجعها منها.

هي تألمت لكبريائها وكرامتها لا لأجله.. ثم ضحكت، لأنها لا تعلم هل هذا حقًّا ما تشعر به أم أنه تأثير الوجع، كيف لم تحب «يوسف»..! أحبَّته، بل عشقته.. تبًّا لتلك المزاجية المتناقضة!

نامت على المكتب بعد كثرة التفكير لتستيقظ على صوت هاتفها يصرخ بلا توقف.

استيقظت لتلعن التكنولوجيا، وكانت رقبتها تؤلمها، لتجد «ريم» المتصلة، لم تعلم ماذا تفعل ولكنها ردت بصوت ناعس: «نعم، عايزة تحكيلي تفاصيل البوسة ولّا إيه؟».

ليفاجئها رد «ريم»: «يوسف عمل حادثة وحالته خطيرة.. ومش بيقول غير اسمك لازم تيجي المستشفى».

لم تشعر «ملك» بنفسها إلا وهي تهرع إلى هناك، إلى صديق طفولتها، إلى حبيبها الخائن، إلى الرجل الذي اكتشف أول الطرق إلى قلبها.. دخلت لتجد «أدهم» و«ريم»، لم تستوعب وجود «أدهم» ولكنها كانت مشغولة للاطمئنان أولًا على «يوسف».. ذهبت للدكتور فقال إنه في العناية المركزة ويوجد لديه كسر في الحوض وفي الذراع اليسرى والرجل اليمنى وارتجاج في الجمجمة.

سمعتْ «ملك» مصطلحات طبية كثيرة لم تفهمها واختصارات طبية علمية وكانت تصرخ بداخلها «هل سينجو؟».

لم يعطها الدكتور إذنًا للدخول إلا حينما علم أنها تلك «الملك» التي يهذي باسمها «يوسف» منذ جاء.



كان وجهه الوسيم مليئًا بالجروح والدم المتجلط، كان شكله يستجديها لتغفر له، ولكنها لن تغفر لنفسها أبدًا إن غفرت له فعلته الشنيعة.

قررت تأجيل كل الأفكار لحين استيقاظه.

اقتربت منه ولمست يديه وهو نائم ومعظم جسمه مُغطى بالجبائر الزرقاء.

اقتربت وفي عينيها بكاء، وقالت: «اصحى وفُوق وخليك كويس.. أنا عايزاك كويس عشان أعرف أكرهك، مش عايزاك تتعب عشان قلبي يوجعني عليك وأسامحك.. أنا متاكدة إنك سامعني، لو مُت مش هسامحك عُمري كله.. قوم وتعالى اترجاني أسامحك وأنا مش هاوافق، بس كفاية أشوفك ونَفَسَك في الدنيا.. لو تعرف الوجع اللي جوايا وكمية التناقضات اللي أنا فيها هتصحي عشان تحضنّي وأعيّط في حضنك.. قوم بدل ما أقتلك يا يوسف»!

ابتسم وهو نائم فعلمت أنه يسمعها الآن فاقتربت ونامت على صدره وهمست إليه: «باحبك لدرجة إني باكره نفسي على اللي أنا باعمله.. فُوق عشان خاطري أنا ماليش غيرك»، وشعرت بيده تتحرك فبكت كثيرًا واستدعت الطبيب، ولكنه قال إنها ردة فعل للجسم فقط وإنه ما زال في غيبوبة.

خرجت لتجد «أدهم» مع «ريم» و«ريم» وجهها باكٍ وشاحب.. تكرهها،



ولكنها تريد أن تضمها وتخبرها أن كل شيء سيكون بخير.. نظرت إلى «أدهم» وقالت له: «انت عرفت منين إن أنا هنا؟»، ولكنه لم ينظر إليها وقال: ماكنتش أعرف، أنا جيت عشان صاحبي.. يوسف صاحبي يا ملك»!

لم تستوعب، فقالت له: «إزاي صاحبك يعني، من إمتي..؟ انت عُمرك ما قولتلي إنكم صحاب، هو ليه كلكم كدابين!».

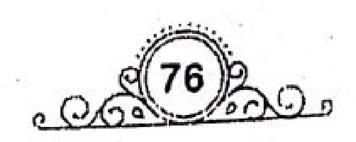
قال: لأ مش باكدب، أنا ماكنتش أعرف يا «ملك» إنك حبيبة «يوسف» اللي كان بيحكيلي عنها، وهو ماكانش يعرف إنك البنت اللي بادوّر عليها من ساعة ما لحقتها على البحر.. ماكناش نعرف.

وأجهشت «ريم» بالبكاء وهي تضم «أدهم» وتقف «ملك» مذهولة.. ليأتي الطبيب وينادي على «ملك».

الدكتور «حسام عبدالله»، في الثلاثين من عمره، يمتلك عينين ساحرتين وابتسامة تُطمئن القلوب المفزوعة.

أخذ «ملك» إلى مكتبه وجلس معها، ثم قال لها: «آنسة ملك.. حضرتك تقربي للأستاذ يوسف؟».

قالت: «نعرف بعض من زمان، مُمكن حضرتك تقولي حالته بالظبط».



ابتسم وقال: «لا ماتقلقيش، الأستاذ يوسف لازم كل فترة يجيلنا في حاجة قوية ويطلع منها زي الحصان، أنا بس عايزك تعملي شوية أشعة ليكي انتي وتحاليل عشان حاسّك تعبانة وعايز أطّمن عليكي».

ابتسمت: «هوّ حضرتك من الدكاترة اللي بيطلّعوا لنفسهم شغل!».

ارتسمت على وجهه الجدية: «لا، تقدري تعمليهم وتروحي لأي دكتور برّه، هاكتبلك شوية أشعات وتحاليل وادّيهم للدكتور اللي يعجبك بس لازم تعمليهم.. ده للأمانة الطبية مش أكتر»، ثم رحل ولكنه كان يشعر بالغضب العارم.. ألا تعلم تلك الصغيرة أن ذلك المستشفى ملكه، مَن تظن نفسها! ولكنه حاول تجاهل غضبه وذهب ليطمئن على مرضاه.

كانت «ملك» حائرة، ما الذي رآه ذلك الطبيب فيها لم تره هي!، فإذا كانت مريضة ستشعر هي قبل أي أحد، فتجاهلت كلامه تمامًا.

ذهبت إلى «يوسف».. كان ما زال نائمًا.. ولكن وجدت «ريم» قادمةً إليها، ترتدي بنطلون جينز واسعًا وعليه قميص ورفعت شعرها ليكون كعكة مع وجهها الشاحب، لتتحدث «ريم».

فجأة: كنت دايمًا باسأل: ليه انتي مش أنا؟ ليه يحبك انتي؟ ليه مايشمش غير



ريحتك في كل الستات؟ مايتمناش غير حُضنك وسط كل الدراعات اللي مفتوحاله؟! سألت نفسي كتير الفترة اللي فاتت: هوّ ليه مش قادر ينساكي ومش بيعمل حاجة غير إنه عايز يكلمك ومالوش عين بعد ما «غلط» إنه باسني؟ ليه لو باسك ماكانش اعتبرها غلطة، كان هيعتبرها أحلى حاجة حصلتله؟ ليه يعيط عشان سبتيه في حين إنه لو قلب الدنيا على واحدة تحبه زيّي مش هيلاقي؟ أنا مش باكرهك يا «ملك»، أنا نفسي كنت أبقي انتي، نفسي كنت أبقي اللي سرقت قلبه، ربنا يكفيكي شر العشق اللي مالوش رجلين ولا أرضية ثابتة ولا له آخر، العشق الممزوج بنار بتكوي القلب عشان لحظة مسروقة حلوة حتى وأنا عارفة إنها مش من حقي.

«ملك».. «يوسف» بيحبك، عمره ما حب زيك ولا هيحب زيك.. «يوسف» قطع علاقته بيّا من يومها، «يوسف» أنا عرفت إنه تعبان من البواب لأني كنت دايمًا باطّمن عليه منه.

بكت «ريم» بشدة ثم جلست عن الأرض تكمل: ليه انتي مش أنا، ليه يا «ملك»..؟

طول ما أنا في السكة ماكنتش عارفة أتنفس، شكله وهو نايم وساكت.. دا مش «يوسف»، كأن جسمي رافض يتنفس وهو بالشكل ده، وأول ما اتحرك

قال اسمك.. متخيلة يا «ملك»؟! اسمك وانتي ماتعرفيش ولا جنبه، اسمك انتي.. ليه مش ريم، ليه؟!

أكملت بُكاءً وجلست «ملك» بجانبها تضمها وبكتا معًا.

أحضر «أدهم» قهوة لهما وجلسوا ينتظرون «يوسف» أن يستيقظ.

شعرت «ملك» ببعض الدوخة ولكنها تجاهلتها وظنت أنها بسبب قلة النوم والإرهاق وجلست مع «أدهم» يحكي لها عن صداقته مع «يوسف» وعلمت أنه الصديق «المحترم» الذي كان يتجول معه مؤخرًا.

لم تعلم ما يجب عليها أن تفعل؛ فالآن «أدهم» صديق «يوسف»، هي لم تحبه، هي فقط شعرت بالأمان معه وهذا شيء عظيم، ولكنها لم تحبه، وهو يعلم ذلك، ولكن هل «يوسف» سيستوعب ذلك، وفوجئت أنها تهتم بما سيظنه «يوسف».. هل ما زالت تحبه؟ مهلًا هي قالت إنها لم تحبه من الأساس..!

شعرت بالدوار مجددًا فقررت أن تذهب إلى ذلك الدكتور المغرور، وجدته جالسًا في مكتبه، دخلت لتجده يشرب قهوته ويستمع إلى فيروز وهي تقول «باشتاقلك لا باقدر أشوفك ولا أحكيك».

ابتسمت فابتسم رغمًا عنه بعفوية وقال: «قررتي تنوّليني شرف إني أبقى دكتورك واطلّع شغل من وراكي؟!» وضحك.



فقالت بخجل: «آه.. يعني، بصراحة كل شوية أحس بدوخة مش عارفة ليه. وكنت عايزة أعرف حضرتك شاكك في إيه».

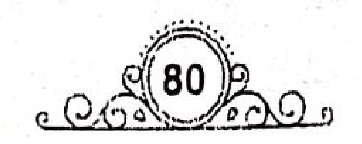
قال: «لا أنا مش باشك، أنا باعطيكي تحاليل وحاجات ولما تجيلي وتعمليهم هاقولك بالتفصيل بيحصل إيه، لكن الطب مافيهوش شك وتخمين.. ماتقلقيش»، وأعطاها روشتة مكتوب بها التحاليل والأشعات المطلوبة.

كانت خائفة كأنها لأول مرة تبيت بمفردها في المنزل، فقررت أن تذهب إلى «يوسف» في المستشفى على الأقل إذا مرضت فهناك العديد من الأطباء وهناك الدكتور «حسام»، ذلك المغرور.

استغربت لأنها فكرت فيه أولًا ولم تفكر في «أدهم»، ولكنها قررت أن تأخذ اللابتوب وتذهب على كل الأحوال.

دخلت إلى مكتبه فوجدته مستيقظًا ونظر إليها ليجد أمامه طفلة في الخامسة والعشرين ترتدي ملابس تقترب من البيجامة ولكنها ليست كذلك فضحك رغمًا عنه وقال لها: «يوسف» كويس ماتقلقيش، وحلو الدبدوب اللي انتي لابساه ده!

شعرت بالخجل ولكنها ابتسمت وقالت: «دا بوجي، المفضّل عندي.. لا



بصراحة أنا حسيت إني خايفة أقعد في البيت لوحدي أتعب فقولت مافيش ألمن من مكتبك يعني وهاقعد أكتب ساكتة مش هاقلقك».

ابتسم وقال: «يا سلام، هتنوّليني شرف إنك تفضلي معايا.. نوّرتي المكتب، ولو عايزة قهوة قومي اعملي ولو أكل اطلبي، كأنك في البيت، يعني خدي راحتك»، وصمت كثيرًا؛ كان ينهي ما عليه من تقارير، وكانت هي تكتب حينًا وتراقبه حينًا وهو منهمك في العمل لتجده يقطع الصمت ويقول: «عايزة تقولي إيه؟».

فصمتت من الاستغراب أنه يشعر أنها تراقبه رغم انهماكه وفهم هو سبب صمتها وقال: «ملك، الواحد مننا عشان يبقي دكتور أول حاجة بيتعلمها إنه يبقاله عشر عيون عشان يعرف يمارس شغله صح ويعرف يمارس حياته الطبيعية، فحاسس بيكي؟ آه عادي».

سألته: «طيب أنا سمعت إنك صاحب المستشفى، ليه بتقعد فيها ومش سايب دكتور نبطشي يقعد بدالك؟ يعني أكيد مامتك أو مراتك المفروض تروحلهم البيت».

فصمت مليًا ثم قال: «أمي عطيتك عمرها، ومراتي لسة ماقابلتهاش، فأنا شاب

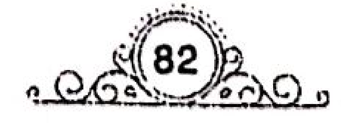
أعزب ثلاثيني وحيد، آجي أقعد هنا وأشغل نفسي في الشغل ولّا أحس قد إيه أنا كئيب ووحيد وبائس؟!».

قالت: «لا، نظرية تُحترم.. أنا كمان عايشة لوحدي، أهلي في القاهرة وأنا جيت هنا عشان شغلي فعايشة لوحدي، انت بتساعد الإنسان يعيش جسديًا وأنا بساعده يعيش نفسيًا، عندي اعتقاد إن الكتابة والشعر والرسم والغُنا همّا سبب حياة روح الإنسان.. هُما اللي بيمدّوه بالطاقة والشغف اللي يخليه يكمل ويعافر»، ثم قررت أن تذهب لتطمئن على «يوسف»، واستأذنت لتتركه ينهي عمله وأن لا تعطله.

ذهبت لتتفقد «يوسف» وتتفقد معه روحها، تتفقد هل هو قوي بما يكفي ليستيقظ ويطلب منها أن تسامحه ويعيشا معًا أم سيموت ويتركها وحيدة بعده، يتركها لا تعشق أحدًا سواه..؟ ماذا عساك تفعل يا «يوسف»؟

كانت «ملك» لا تعرف ما تريد، كانت دائمًا في صراع بين قلبها وعقلها، كانت تبكي حينًا عشقًا لـ«يوسف» وكرهًا حينًا.

كان «يوسف» في العناية المركزة وتفكر هي هل تحبه؟ هل كرهته لخيانته لها لأنه أول من استطاع أن يطأ حدود قلبها، أم أنها تكرهه لأنها تحبه؟!



كانت لا تعلم وربما لن تعلم أبدًا، كانت تتأمل «يوسف» خلف حاجز زجاجي، كانت تشعر أن مثل هذا الحاجز بداخلها، فعشقها حبيسه وفقط الكره والوجع طليقان.. وجدت نفسها تبكي وخلفها الدكتور «حسام».

اقترب وهمس إليها حتى لا يفزعها: «بتحبيه؟».

نظرت إليه وعيناها دامعتان: «بيحب نفسه أكتر، مش بيعرف يحب حد أكتر من نفسه وتلقائي بقيت زيه، باحبّني مش باحبّه لأ».

فقال لها: «بس هو رغم إنه فاقد الوعي مش بيهذي غير باسمك، أعتقد أن هو في أصدق حالاته.. بيحبك، ولازم تقلّديه زي ما عملتي وتحبيه.. ولو غلط فهو يستاهل مغفرتك».

فردت عليه: «في حالات ماقدرش أغفر فيها يا دكتور للأسف».

ورحل الدكتور وهو عازم أن يجعلها تشعر أنها لا تكرهه ولكن فقط غاضبة وهذا ما فعله القدر، كانت تراقبه بينما صدر صوت من جهاز القلب يدل على توقف القلب.

ظلت تصرخ وتنادي على أحد ليساعده، وشعرت أنها للحظات كأنها قد نسيت كيف تتنفس، توقف قلبها مع توقُّف قلبه، حتى استردّ نبضه مجددًا.



جاء «أدهم».. كانت تهاتفه صارخة: «يوسف» بيموت أو مات.. ألحق!

جاء «أدهم» مسرعًا وكان يبكي في سيارته وهو يتأسف لـ«يوسف» ويعاتبه متحدثًا بصوت مسموع: «أنا حبّيتها، مش ذنبي إنها طلعت حبيبتك.. أنا ماكنتش أعرف».

ظل يبكي خياناته البريئة حتى وصل، فارتمت «ملك» بين ضلوعه تبكي وتقول «فاق، اتنفس.. نبضه رجع»، وكانت في حالة انهيار حتى فقدت وعيها.

شعر «أدهم» حينها أن القدر يجمع بينهما مرة أخرى، إذ برجوع نبضه رجع عشقه ينبض بداخلها.

ربت على كتفها وأبعدها عنه وقلبه يصرخ من الألم (وهل تبعدها عن ضلوعك أنت الذي تمنيت فقط أن تشمّ رائحتها وهي قريبة.. هل تبعدها، هل جُننت؟!).

أفاقت «ملك» وسألت عن «يوسف» ووضعه، كان بجوارها «أدهم» يتأملها بحزن.

شعرت بـ«أدهم» يحترق أمامها، سمعت صوت قلبه يتمزق قطعًا صغيرة، ولكنها فضلت أن تقتله برصاصة الرحمة على أن تقتله يوميًا ببطء فقالت له:



«أنا عارفة إنك بتحبني، عارفة.. بس أنا باحبّه، غصب عني مش قادرة أنساه، بالمح صورته قلبي بيقف، باشمّ ريحته بابقي نفسي أترمي في حُضنه، باسمع صوته صداه بيرنّ في روحي.. أنا عارفة انت حاسس بإيه كويس ونفسي تبطّل تحسه ونفسي أبطل أحسه ونفسي كل واحد بيحسه للشخص الغلط يبطل يحسه».

لم يستطع «أدهم» الرد عليها، فقد وجدها مكسورة ومجروحة مثله مهما ادّعت العكس.

لم يستطع أن يفعل شيئًا سوى أن يبتسم وعيناه دامعتان وينهض بقراره أن يرحل عن عالمها الصغير عساها تَحنّ إليه وتغفر له خطيئته.

أفاق «يوسف» لتدخل إليه «ملك» بلهفة مكسورة هي و«ريم»، كلٌّ منهم ينزف له وعليه ومنه، ليقول «يوسف» ما يفاجئهم جميعًا: «مين دول يا ريم؟!».

ليأخذهم الدكتور حسام إلى مكتبه بعد صمت قاتل ونظرات متبادلة في ما بينهم؛ ويقول: «يوسف» فقد الذاكرة مؤقتًا!

شعرت «ريم» بسعادة مؤقتة أن «يوسف» لا يتذكر «ملك»، لا يتذكر عشقه لها، لا يتذكر سواها.



وشعرت «ملك» بنغزة في روحها، كيف له أن لا يتذكرها، كيف ينساها (وجعها) فهو سبب وجعها؟ كيف له أن ينساها من حادثة وهي لم تنسه وهو الذي فتت قلبها إلى قطع صغيرة؟!

أستأذنت لترحل ووراءها «أدهم» الذي شعر أن القدر يُعطيه فرصة جديدة لينال قلب صغيرته.

كم هو غريب القدر؛ يكسر ليجبر، ويجبر ليكسر، ويؤلّف بين القلوب لتفترق!

كم هو مؤلم أن يكون مصيرك غامضًا بيد قوة غامضة تتحكم بك وبمن حولك، تتحكم بكل شيء ولا تعرف هل أنت مُسيّر أم مُخيّر، هل أنت تختار حياتك بأدق تفاصيلها، أم أنك فقط تقرأ كتاب حياتك الذي كتبه لك القدر منذ أتممت أربعين يومًا وأنت في رَحِم أمك!.

هناك من خرج من غرفة «يوسف» منتصرًا، وهناك من خرج مكسورًا، وهناك من خرج على أمل.. كل هذا ترتب على جملة واحدة فقط!

شعرتْ «ملك» بالإعياء الشديد، ظنت أنه بسبب أنها لم تأكل جيدًا ولكنها فجأة تذكرت الدكتور «حسام» وهو يطلب منها العديد من التحاليل عندما



أُغشي عليها، وسألها إن كانت قد شعرت قبلًا بما تشعر به الآن ولكنها لم تكن تشعر به وقتها.

شعرت بالخوف ولكنها قررت أن تواجه خوفها وتذهب إلى الدكتور «حسام» ليطلب منها عدة تحاليل وذهبت إلى مركز تحاليل متخصص، وبعد عدة ساعات حصلت على التحاليل.

لم تكن تريد أن تعرف ما بها حقًّا، ولكن كان جسدها المرهق الذي يتعبه أقل مجهود يريد أن يتعافى سريعًا.

ذهبتْ بالتحاليل إلى الدكتور «حسام» الذي نظر في التحاليل مليًّا كأنه يخاف أن يصرح بما بها وظل صامتًا يتأمل التحاليل والأشعات بصمت يقتلها، صمت لحظات مرّت بها كأنها قرون وقرون من العذاب حتى استجمعت قوتها وسألته بصوت خافت: «في إيه؟».

حتى جاوبها: «ورم.. ورم منتشر في العضم والمعدة».

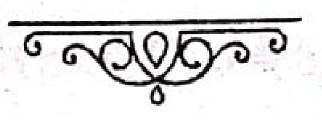
شعرتْ كأن العالم يهتز حولها وكأنها الآن استلمت شهادة وفاتها وهي على قيد الحياة.. قال لها: «ممكن بالعلاج نسبته تقل ونقلل من سرعة انتشاره»، فقاطعته «ملك» وهي تضحك وتقول: «تطول مدة عذابي يعني؟ لأ.. أنا مش هاتعالج

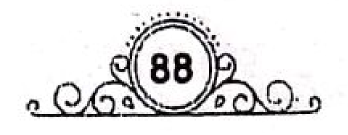


أصلًا، لو أمكن بس تكتبلي مقوّيات ومسكنات قوية.. أنا مش هاموّت نفسي بنفسي بالكيماوي، دكتور حسام بلاش نضحك على بعض، الكيماوي ده مرض مش علاج، لعنة بتصيب الجسد عشان تقلل مناعته عشان تعرف تهاجم الورم اللي بيستوحش ويستقوى هو كمان بعد كل جرعة لحد ما أموت أنا بينهم.. لأ، أنا هاموت وأنا باجري الصبح، وأنا باشرب قهوتي، وأنا مع أصحابي، وأنا في حضن أمي.. أنا مش هاموت لوحدي وأنا في العناية المركزة بعد ما أدمّر أجهزة جسمي بالبطيء لحد ما أموت إكلينيكيًّا.. لأ».

ثم رحلت وهي في حالة من اللا وعي وهي تبكي، ولكنها تشعر أنه لا وقت للبكاء (ليس هناك وقت للبكاء يا «ملك»، لا تبكِ صغيرتي.. ليس أمامنا الكثير من الوقت، يُمكننا أن نبكي لاحقًا)!

ذهبت «ملك» إلى غرفتها لتُخرج اللابتوب خاصّتها لتُنهي روايتها، شعرت أنها بحاجة إلى صديقتها الخيالية «رهف» لتشاركها وجعها، قررت أنها ستكتب كل ما تشعر به في «رهف»، إنها ستصف لـ«رهف» مراحل تدهور مرضها وصحتها البدنية حتى يوم وفاتها.



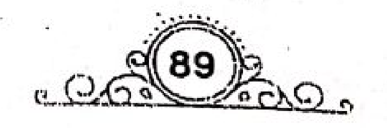


9

ها أنا ذا يا «سليم» أواجه لحظات احتضاري وحدي من دونك، ها أنا ذا خائفة مرتعشة أواجه هذا المرض اللعين دون يديك، دون قُبلتك، دون رائحتك..

لطالما أخبرتك أنك إن رحلت فإنني سأموتُ ولكن لم أعلم حقًّا أن الموت سيلاحقني فور رحيلك.. أشرب قهوتي كأنها كل ما تبقى لي، أكتب إليك كأني بين أحضانك أعاتبك على غيابك القاتل، أتعلم أن الموت كان سيصبح رحيماً لو أنه بين ذراعيك..!

تعالَ لأموت فيك وبك ومعك.



9

شعرت «ملك» أنها تريد أن تنام.. رُبما هي نائمة واليوم هو مجرد كابوس سينتهي وتستيقظ لتجد نفسها مع «يوسف» و«ريم» صديقتها المقربة والتقت «أدهم» وأصبح صديقها المُقرب، لتجد أمها معها ولم تسافر وتتركها، لتجد أباها معها يبتسم ويحضنها في حنان، لتجد نفسها القديمة.. نامت «ملك» وهي تتخيل لو كانت آخر فترة في حياتها مُجرد كابوس سيئ!

صباح اليوم التالي اتصل الدكتور «حسام» بـ«أدهم» ليخبره بما حلّ بـ«ملك» وأنه يجب أن يكون معها ويقنعها بخوض العلاج، لم يتمالك «أدهم» نفسه وهو يرى صغيرته تحتضر وترفض البقاء. ظل يهذي أمام الدكتور «حسام»: (لأ،



التحاليل غلط، «ملك» كويسة، التحاليل اتلخبطت، لأ..) ويبكي وهو يحاول أن يقنع «حسام» أن هناك خطأ ما، وأن «ملك» ستكون بخير.

وعندما خرج ليجد «يوسف» و«ريم»، كان «يوسف» قد انتهت مدة حجزه في المستشفى وسيعود إلى منزله.

وجدت «ريم» «أدهم» بتلك الحالة لتسأله عما به ليخبرها وهو في حالة انهيار.

شعر «يوسف» بأن قلبه يؤلمه وبكى وهو لا يعلم السبب.

طلب «يوسف» أن يراها، استغرب كلٌّ من «ريم» و«أدهم».. سألاه: «هل تتذكرها؟»، فأجاب: «ربما أنا لا أفعل ولكن قلبي يفعل»!

ذهب «يوسف» إلى بيتها ومعه «ريم» التي شعرت بالشفقة على «ملك» فهي تحبها رغم كل شيء، هي صديقتها المقربة، و«أدهم» معهما.

فتحت لهم «ملك» وهي تحاول أن تستوعب هل هو حقًّا كابوس، وهل هم معها، فقالت عفويًّا: «أنا كنت باحلم؟».

وجرت على «يوسف» لتضمه وتبكي.

شعر بقلبه ينتفض وبكى بحرقة كأنه عاشق، ثم همس في أُذنها أن كل شيء سيكون بخير، وأخذ يتحسس شعرها كأنها طفلته ويقول: «أنا هنا، سينتهي كل شيء، أنا هنا».



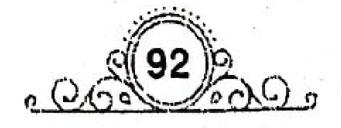
ويضمها إلى صدره مجددًا ويشعر كأن قلبه كان فارغًا وقد امتلأ أخيرًا.

لم يشعر «يوسف» بنفسه إلا وهو يقول: «ملك.. تتجوزيني؟!».

صُدمت «ملك» من طلبه وهي تعلم أنه لا يتذكرها، وشعر هو بذلك وقال: «أنا طول الفترة اللي فاتت كنت حاسس إني فاضي، قلبي بيوجعني.. ماحسّتش إني باحسّ غير لما شوفتك ودخلتي حضني، أنا عايزك لحد آخر نفس في عُمري جنبي.. أنا عايز أصحى على صوتك وأنام وأنا شامم ريحتك، عايزك وعايز أجيب منك بنت نسخة منك».

رفضت «ملك» لأنها شعرت أنه يطلب ذلك شفقةً عليها، وقالت له إنه يكفي وجوده بجانبها فقط، واستجاب لرغبتها على مضض، وفي اليوم التالي مرض «يوسف» جدًّا وهاتفتها «ريم» لتخبرها أنها يجب أن تأتي له فورًا فهو يحتاج إليها..

أخذت العديد من المقويات وركضت إليه، وعندما ركبت ذلك التاكسي الذي ينتظرها لم يأخذها حقًّا إلى مستشفى ولكنه أخذها إلى قاعة أفراح مشهورة جدًّا.. لم تستوعب ما يحدث، ووجدت «ريم» تساعدها على النزول وتأخذ بيدها لتذهب إلى غرفة في الأعلى بها فستان يشبه فساتين أميرات ديزني المُفضلين لها، ووجدت الغرفة مكتظة بالناس الذين سيساعدونها لتستعد لليلة عمرها،



ووجدت أمها التي كانت لا تعرف شيئًا عن مرضها، ارتمت بين ضلوعها وهي تخبرها أنها دعت لها كثيرًا بابن الحلال وأن ربها استجاب لدعائها لتنهار «ملك» بين ضلوعها وهي تبكي بحرقة، حُرقة المُفارق، حُرقة من يودّع أغلى من يملك.

استعدت لفرحها الليلة على الرجل الذي تعشقه، تهيم به عشقًا، الرجل الذي رغم فقدانه للذاكرة لم يفقد عشقها.. فقد نسيت هي أن العشق في القلب لا العقل، ونزلت لتجده واقفًا في قمة وسامته وكانت ابتسامته تُميت فيها الرغبة في الموت رويدًا رويدًا.

نزلت إليه وقلبها يرتجف حتى ارتمت بين أحضانه لتستمد منه الأمان، ووجدت بجانبها كل مَن تحب، وكانت في قمة سعادتها، حتى إنها ظنت أنها إن كانت ستموت الليلة فستموت سعيدة.

كانت ليلتها خيالية، كانت سعيدة، وكان «أدهم» و«ريم» يحترقان بداخلهما، ولكنهما كانا يعرفون أن هذا ما يجب أن يتم، يجب أن تكون «ملك» بين ذراعي «يوسف».. هذا قدرهما.

انتهي الفرح وأخذ «يوسف» «ملك» إلى شقتهما التي أُعدت في يومين بكل ما تُحب وتتمنى، كانت مندهشة، كيف استطاع أن يتمّ كل ذلك العمل، ولكنه لم



. يكن يريد أن يتكلم معها في كيف استطاع أن يحارب الوقت كي يكسب يومًا معها، ضمّها إليه وقال: «ششششش، مش وقته دلوقتي.. باحبِّك»!

نظرت إليه بحنية وخجل، وكان الخجل لايعرف إلى يوسف طريقًا أبدًا فهمست إليه بحُب: «باحبَّك»، ليضمها إليه أكثر ويلتهم شفتيها وتذوب هي في أحضانه حتى غفوا صباح اليوم التالي.

شعرت «ملك» بالإعياء ولكنها كانت لا تريد أن تُشعره بشيء، وكانت قد شعرت مع الوقت أنها أفضل، استيقظ هو ليجدها نامت مجددًا ليحضر لها فطورًا شهيًا ويوقظها ليخبرها عن خططه لشهر عسلهم، كان يتمنى أن يكون هناك «شهر» باقٍ منها حتى يجعلها أسعد امرأة على الكوكب.

كانت تبتسم في عشق وتستمع، وقد نسيت للحظات إنهما يصارعان الزمن والقدر.

ما هي إلا أسابيع قليلة مرّت سريعًا في سعادة حتى أُغشي على «ملك» وزاد عليها الإعياء شديدًا، وذهبت إلى الدكتور «حسام» الذي طلب منها أشعات، والتي لأول مرة تكون جيدة! قال لها إن انتشار الورم أصبح أقل لأنه يعتمد على النفسية، وهي في نفسية جيدة وهذا يساعدها، وأخبرها أنها تحمل داخلها هدية من القدر، تحمل بداخلها شيئًا من عشق لن ينتهي يومًا.. أخبرها أنه

سيؤلمها كثيرًا وسيكون حملها متعبًا وأن ما يساعدها أنها لا تأخذ أدوية وإلا كان حملها سيصبح مُستحيلًا، ولكنها قررت أن تتحمل كل شيء من أجل «طفلتها»، كانت تشعر أنها فتاة.

نزلت لتشتري «جزمة صغيرة» لتخبر بها «يوسف» أنها تحمل منه فتاة مثلما أراد، اشترت «جزمة» متناهية الصغر لونها زهري وأجرت «أشعة سونار» لتحمل معها صورة صغيرتها، وذهبت إليه في عمله فهو اليوم الأول الذي ينزل فيه إلى شركته، فلم تجده فتركت له «الجزمة» وصورة «أشعة السونار»، وانتظرت عند «ريم» التي صارت تعمل مع «يوسف»، والتي عشقها «أدهم» وعشقته، كأن القدر كان يجب أن يكسر قلبيهما ليَجْبر كلًّا منهما بالآخر.

وجدته يدخل إلى مكتبه فانتظرت حتى يرى ما تركته له ثم دخلت إليه فقال لها بعدم استيعاب: «يعني إيه؟»، فقالت له: «يعني أنا حامل»!

لم يستطع أن يمنع دموعه، فبكى وهو يضمها إليه ويضحك، ثم توقف عن الضحك كأنه تذكر مرضها، هل ستأخذه الطفلة أيضًا، أم ستكون بخير؟ هل سيؤلمكِ الحمل..؟

قالت له في إصرار: «أنا لو هاموت مش هانزّلها، لو آخر حاجة هاعملها في حياتي إني أشوف بس بنتي للحظة هاعملها يا يوسف».. ليضمها إليه ويبكيان

معًا ويخبرها أنها ستربيها وسيكبرون معًا.. يقول لها ما تريد أن تسمعه ليريح قلبها رغم علمه وعلمها أنه مجرد كلام لا أساس له من الصحة.

بدأت الشهور تنقضي ويزيد تعب «ملك» من الحمل ومن المرض ويوسف ترك كل شيء وأصبح معها فقط، يحاول أن يسعدها ويساندها حتى قرر أن يسافروا في الشهر السابع، ولكن شعرت «ملك» بالإعياء الشديد، وكانت لا تعرف إذا ما كانت ستستطيع تحمّل إرهاق السفر أم لا، فلم تكن لديها فرصة المخاطرة فقررا أن يستقرا في مصر، وليلتها شعرت «ملك» بأنها لا تستطيع أن تتنفس، أيقظت «يوسف» وهي تبكي وتردد: «مش قادرة»، ليأخذها «يوسف» إلى المستشفى ويتصل بالدكتور «حسام»، ليحضر دكتورها المتابع، وكانت قد وصلت إلى أقصى مراحل المرض فاكتشفوا أن هناك نزيفًا، وفور اكتشافهم كانت قد نزل ماء الولادة كأن الطفلة لديها غريزة البقاء وتريد أن تتحرر من تهديد الموت، وسعدت «ملك» بهذا الخبر، كانت تريد أن ترى طفلتها.

ولدت «ملك» قيصريًا حفاظًا عن الطفلة ولعدم إرهاقها أكثر، فهي لن تتحمل «الطلق» الطبيعي ولن تتحمل طفلتها العنيدة.

بعد الولادة كانت «ملك» تنزف كثيرًا وقرر الأطباء أن يأخذوا «ملك» إلى العناية المشددة حتى يعتنوا بها جيدًا ويتخطوا مرحلة الخطر، كانت الأم تبكي



على ابنتها وكان «يوسف» يتأمل طفلته ويردد: «قدر، أنتِ قدر»، وبجانبه «ريم» التي تحاول أن تجعله يتماسك.

أفاقت «ملك» وهي تردد: «بنتي، عايزة أشوف بنتي»، ليحضروها لها.

بكت بمجرد أن رأتها، كانت صغيرة، متناهية الصغر، كانت تشعر أنها لا تريد أن تموت، هي تريد أن تبقى مع تلك الصغيرة التي شعرت تجاهها بأنها الوحيدة التي ستحبها بذلك المقدار.. ظلت تحادثها وهي تبكي: «بنوتّي الحلوة، أنا مش هاكون موجودة لما تكبري، لما تمشي أول خطوة، لما تضحكي، لما تقولي بابا، لما تلعبي، لما تحبي، لما تتكسري لأول مرة.. بس أنا جنبك دايمًا، هافضل دايمًا حاسة بيكي، دايمًا هاساعدك وهاحميكي.. إوعي تقولي في يوم ماما سابتني، وغلاوتك ماما مستعدة تتحدى الكون بحاله بس تفضلي في حضنها دقايق زيادة».

وبكت بانهيار حتى أتى «يوسف» وأخبرته أنها تريد أن يُحضر لها اللابتوب خاصتها سريعًا فأحضره لها وفتحت روايتها لتكتب سطورها الأخيرة، بعدما وصفت لـ«رهف» كيف مرت بفترة مرضها وحملها وشقائها، وكيف عاد «سليم».. ظلت تكتب وتكتب حتى حانت النهاية لتكتب:

«لطالما كرهت الرحيل، الفراق، الموت.. لطالما كرهتها، ولكن الآن يجب أن



أقولها صغيرتي، لن أكون هُنا عندما تبكين، عندما تكونين وحيدة، عندما تشعرين أنكِ يتيمة..

لأول لحظة أشعر أنني أنانية بأني احتفظت بكِ داخل رحمي وحاربت بكِ الموت حتى لحظة نزولك ولكني لم أكن أستطيع أن أتحمل أن أتخلى عنكِ، سأكون هُنا عندما تعشقين لأول مرة، سأكون هنا عندما ينكسر قلبك وتحتاجين إلى حضن أمك، سأكون موجودة دائمًا داخلك، سأكون دائمًا حولك.. سأكون هنا ولكني لست هُنا..

صغيرتي أنتِ الآن بين ذراعيّ، تنظرين إليّ كأنكِ تريدين أن تُشبعي عينيكِ منّي، ولكني أعلم أنني مهما طال بي الوقت لن يكون طويلًا للمدى الذي تُريدينه صغيرتي ولذلك عليَّ أن أودّعكِ الآن، سأكون معكِ من العالم الآخر.. عليَّ الآن فقط أن أقول لكِ ويعلم الله إنه يقتلني أن أقولها ولكني.. سأرحل».

كتبت «ملك» بآخر أنفاسها آخر سطور روايتها، ليضم «يوسف» ابنتهما «قدر» التي قد قُدِّر لها أن تأتي منهما، التي كانت ثمرة عشق أفلاطوني موجع كما تمنّت «ملك» كثيرًا.. ويوم ولادتها يكون يوم وفاة أمها، لم يصبِّر أُم «ملك» سوى تلك الصغيرة التي أوصتها بها «ملك» أن تربيها مثلما ربّتها، وأن تحافظ عليها وتفعل كل ما كانت «ملك» تفعله.



قبّلت رأس صغيرتها وضمتها وهي تنازع الموت في مشهد بكى له جميع من كان حولها، مَن يعرفها ومَن لم يعرفها، حتى همست لها: «صغيرتي سأرحل»!

«قدر» الآن عيد مولدها السادس عشر، يهديها أبوها بهذه المناسبة رواية أمها «سأرحل» التي تُرجمت إلى عدة لغات ونالت إعجاب ووجع الكثير من الجنسيات، لتقرأها «قدر» وتعلم كم كانت تحبها أُمُّها، ولتعلم قصة عشق أبيها وأمها.. ابتسم وهو يضمها ويقول «كم تشبه رائحتك رائحة أمك كأنكما من الجنة صغيرتي».

ليظهر «أدهم» و«ريم» وتوأمهما الشقي «ملك ومليكة» وهما يركضان وسط ضحكات صغيرة ووسط فرحة «قدر» أنها أصبحت فتاة رائعة الجمال تشبه أمها التي لم ترها أبدًا.

ربما ليست كل النهايات سعيدة ولكنها حتمًا ستصل للسعادة يومًا ما.

